روايات عبير



فلورا كيد

مصارع الثيران

١٥٨

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 158

مصارع الثيران

الوقت من ذهب... اما وقت سوريل فهو من تراب... مدلكة تعمل عند مونيكا المقعدة.

اعتقدت سوريل ان الحب ينبت بعيداً عن هذه المنطقة النائية ويقطفه فقط سعداء الحظوظ. وعندما التقت خوان رينالدا مصارع الثيران، احست بأنها مخطئة. لكن رامون رب عملها وزوج مونيكا طردها من البيت حين علم بلقائها.

لماذا؟ قبل ان تغادر المنزل عرفت بوجود علاقة سابقة بين مونيكا والمصارع وان الحادث الذي أقعدها وقع لها خلال زيارة غامضة وسرية لمزرعته.

عندئذ ذهبت سوريل اليه ووضعت الحقيقة كلها امامه لكن خوان رينالدا اعترف... ماذا قال لها وهل يمكن ان تكون الحقيقة غير ما توقعت؟

لبنان	١٠ ل.ل.	الكويت	١ د	اليمن	٤ ر	السودان	٨٠٠ م
سورية	١٠ ل.س	الامارات	١٢ د	تونس	١،٥٠٠ د	U.K.	£ 1.50
الأردن	٨٠٠ ف	البحرين	١،٥٠٠ د	ليبيا	١ د	France	F 10
العراق	٥٠٠ ف	قطر	١٢ ر	المغرب	٥ د	Greece	Drs 200

١- بوابة الثلج



من بلدة مانيسالاس المتربعة على قمة التل، كانت الطريق الى مركز السومبريرو للتزلج، تمر عبر مزارع بن تغطي منحدرات الجبال المنخفضة. وفي ظلال اشجار الموز العالية كانت أوراق شجيرات البن، المعتنى بها بمحبة، تلتمع تحت أشعة الصباح، فيما قاطفو الحبوب ذوو القمصان الحمر وقبعات القش يلتقطون الحبوب الناضجة ويضعونها في السلال الكبيرة التي يحملونها بواسطة احزمة تلف خصورهم. سرحت سوريل برستون بصرها خلف الشجيرات المتنوعة الخضرة، وصعب عليها التصديق بأنها سترى ثلجاً بعد ساعة من الزمن. لقد مضت ستة أسابيع على وجودها في كولومبيا ومع ذلك ما تزال مندهشة من تفاوت المناخات والارتفاعات في هذا البلد الاميركي الجنوبي. ففي نهاية الاسبوع الماضي

كانت على سطح البحر تستمتع بحمام شمس استوائية على شاطىء متوهج قرب البحر الكاريبي التوركوازي المعمم بالأبيض في الساحل الشمالي، وفي نهاية الاسبوع هذه، هي في طريقها للتزلج على جبال الأنديز العالية. جاءت اليوم صباحاً من مدينة ميدلين في سيارة الكاديلاك الفارهة التي يقودها مخدومها رامون اميل، وعلى الطريق الدولية الاميركية العريضة انقضوا جنوباً وكأنهم يقفزون من بلدة جبلية الى اخرى. لكن هذه الطريق الى مركز التزلج مختلفة تماماً، فهي ضيقة وتتلوى كما الأفعى، وكلما ازداد الارتفاع كلما تلوت ودارت على نفسها اكثر، وتبدو احياناً معلقة في الفضاء فوق ممرات مظلمة ضيقة تشق جانب الجبل، وذات جدران مشجرة تنحدر بقوة لتصل في النهاية الى القاع وحيث تبدو الأنهار كخيوط فضية رفيعة.

قالت سوريل للورا التي تشاركها الجلوس على المقعد الخلفي:

ـ لن أحبذ فكرة السواقة على هذه الطريق في الظلام.

فأجابتها الفتاة:

ـ اعتادت أمي ان تقود السيارة بنفسها صعوداً ونزولاً كل اسبوع، الا انها كانت سائقة ماهرة آنذاك.

ولورا، اكبر الاختين، في الخامسة عشرة من عمرها، طويلة رشيقة القوام، بيضاء البشرة زرقاء العينين، وقد ورثت كل هذا عن أمها الانكليزية، اضافة الى تكلمها وفهمها الممتازين للغتين، الاسبانية والانكليزية معاً. اما اختها غابرييلا الجالسة الى جوار ابيها في السيارة، فكانت في الثانية عشرة، ذات حجم صغير مكتنز وعينين براقتي السواد وبشرة زيتونية ناعمة، تتكلم الانكليزية بلهجة تسحر السامعين اذ تلفظ الحروف الساكنة بفوضوية وتستعمل التعابير الاميركية بكثرة. قالت تعترض على تعليق اختها:

ـ اذا كانت ماما سائقة ماهرة حقاً، فأنا لا أفهم كيف تحطمت بها السيارة.

أعقب سؤالها صمت ثقيل، فحادث تحطم السيارة الذي حوّل مونيكا اميل من امرأة رياضية نشيطة الى اخرى مقعدة تجد صعوبة في تعلّم المشي من جديد، لم يكن يذكر مطلقاً في الأحاديث. هذا ما لاحظته سوريل وكأن العائلة لا تريد ان تواجه ذلك الواقع.

وأجاب رامون مؤنباً غابرييلا بحدة:

ـ لقد ارتكبت أمك غلطة. كم مرة يجب ان أفهمك ذلك.

كان الوالد صارماً، ومن حين جاءت سوريل لتقيم في بيته، بدأت تعي بالتدريج ان مونيكا وابنتيها يخشين اثارة غضبه. كذلك بدأت تشعر ان العلاقة بين الزوجين مهتزة جداً، ليس فقط لأن مونيكا أصيبت بشلل، بل كانت سوريل متأكدة من ان شيئاً قد حصل قبل الحادثة وأدى الى لغم الزواج.

تلوت الطريق صعوداً بين جذوع صنوبريات رفيعة قائمة وسألها رامون:

ـ هل يضايقك الارتفاع يا سوريل؟ أتشعرين بشيء من الغثيان او الدوار لكوننا بلغنا هذا الحد من الارتفاع بوقت قصير جداً؟

ـ احس صداعاً بسيطاً، ليس الا.

ثم سدت أذنيها بيديها وأضافت ضاحكة:

ـ اوه، لقد فرقعت أذناي! هل من المفروض ان احس غثياناً؟

ـ قد يحدث ذلك لكنك ستشعرين حتماً بصعوبة التنفس عندما تغادرين السيارة. لن نقوم برياضة عنيفة هذا الصباح. سنكتفي ببعض التمارين على المنحدرات التدريبية ونؤجل التزلج الجدي الى ما بعد الظهر حيث تكونين قد اعتدت قليلا على المناخ.

قاد السيارة حول المنعطف الأخير بين ضفتين من الثلج تكوّم بفعل جرّافة، ثم أطلّوا على الفندق القائم على هضبة فسيحة والمشيّد من خمس طبقات في شكل نصف دائري. كان الفندق مؤثثاً بترف وبألوان زاهية صافية. جدرانه مكسوة بالخشب وكل ارضيته مغطاة بسجاد سميك. حملهم المصعد الى الطابق الثالث حيث تشاركت الاختان غرفة ذات سريرين فيما انفرد كل من رامون وسوريل في غرفة خاصة به.

وكما اقترح رامون، قضوا بقية الصباح على المنحدرات السهلة وصعدوا القمة بواسطة التلفريك. وسرعان ما اكتشفت سوريل ان رامون وابنتيه يفوقونها خبرة في التزلج، وشعرت نحوهم بالامتنان لكونهم صبروا عليها وبقيوا معها حتى استطاعت تليين عضلات ساقيها الى حد ما واعتادت تنفس الهواء الجاف الخفيف.

تناولوا الغداء في مقهى الفندق، وراحت لورا وغابرييلا تراقبان باهتمام

شديد دخول وخروج المتزلجين الآخرين وتثرثران معاً بالاسبانية وتقهقهان حتى تضايق رامون من تصرفهما وطلب اليهما ان تتحدثا بصوت مرتفع كي يتمكن هو وسوريل من سماعهما. ولدى توجههم الى بهو الفندق لأخذ أدوات التزلج، اعترفت لورا لسوريل بقولها:

ـ كنا نتعرف على بعض الصبيان الذين رأيناهم من قبل. ان بابا لا يسمح لنا مطلقاً بالتعاطي مع الشبان، ولو استطاع ان يرسل معنا امرأة ترافقنا الى كل مكان لما توانى عن ذلك، لكن عهد المرافقات ولّى، وصار موضة عتيقة.

وأضافت غابرييلا بلكنتها الجذابة وابتسامتها الساحرة:

ـ ولهذا أنت معنا بدلا من الحارسة يا سوريل، وهذا الوضع أفضل بكثير. . . اوه، انظري لورا الى الرجل الواقف هناك.

ثم همست شيئاً في اذن اختها التي اجابتها بسرعة:

ـ لا تدعي بابا يسمعك تذكرين اسمه.

فهتفت غابرييلا الرافضة لأي كبح:

ـ لماذا؟ اوه، أتذكرين يا لورا حين جئنا للتزلج مع ماما واضطررنا الى قضاء الليل في الملجأ؟

ـ اصمتي!

لكزتها لورا بكوعها محذرة، وهنا انتبهت سوريل الى نظرة الشك المفاجئة التي ألقاها رامون على ابنته فسألته لتحاول اشغاله بشيء آخر:

ـ ما هو الملجأ؟

أجابها:

ـ انه كوخ يمكنك الاحتماء به اذا واجهتك عاصفة ثلجية. هناك عدد من الملاجىء موزع على المنحدرات لصالح المتزلجين الذين يحبون التزلج في أماكن غير مطروقة. تعالي هنا. هذه خريطة للمنطقة تبين اماكن هذه الأكواخ.

أشار الى رسم بياني معلق على جدار البهو وتابع:

ـ انها خشنة المظهر لكنها مزودة بأسرّة نقالة وحرامات ومدفأة ووقود وأطعمة معلّبة.

وخارج الفندق، انتعلوا الزحاليق مجدداً وانزلقوا الى حيث المصعد

الكهربائي كي يحملهم الى منحدرات أعلى . . . وفكرت سوريل وهي تطل
من المصعد وتراقب المتزلجين وهم يحفرون طريقهم نزولا على الجبل، ومن
محطة المصعد الأخيرة، ارتقوا منحدراً آخر، وكانت زحاليقهم تحدث
رسومات كقطب التطريز على الثلج الطليق الهش. ولما وصلوا القمة،
ارتكزت سوريل على عمودي التزلج وهي تشهق طلباً للتنفس، ثم حدقت
برهبة الى مشهد الجبال. كانت قممها المشققة، المشحوذة بالريح والمظللة
بغيوم متهادية، تتوهج كمنحوتات فضية في الأفق الرمادي الباهت. بدت
نائية مهيبة، تمثل تحدياً مستمراً للجنس البشري.

قالت لورا بحزن:

ـ هذا المنحدر التزلجي كان المفضل لدى امي.

فعلقت سوريل:

ـ استطيع رؤية السبب. فالمشهد رائع الى حد الخيال.

وهنا قال رامون بجدية:

ـ الغيوم تبدو لي مليئة بالثلج. من الأفضل ان نبدأ الهبوط فوراً.
غابرييلا، اهبطي اولا وقودي الطريق. سوريل، اتبعيها وظلي قريبة منها
قدر المستطاع. لورا ستلحق بك وأنا سأكون الأخير، اذ في حال وقعت
احداكن سأتمكن من رؤيتها وبالتالي سأتوقف وأعود الى مساعدتها.

فقالت غابرييلا الساذجة والجريئة في الوقت نفسه:

ـ لكن اذا وقعت أنت يا بابا فلن نعرف ذلك.

ـ لن أقع بالطبع.

ردّ رامون بتلك الثقة الهادئة التي اكتشفت سوريل بأنها جزء من طبيعة
كل الرجال الكولومبيين الذين تعرفت اليهم لغاية الآن. وأضاف رامون:

ـ حاذرن الصخور البارزة على الطريق. هل انتن مستعدات للانطلاق؟
هيا انطلقن.

وهتفت غابرييلا بمرح:

ـ اتبعيني على مقربة يا سوريل، فلا نريدك ان تضيعي.

راقبت سوريل جسم غابرييلا الصغير المدثر ببزة برتقالية وغرزت
عمودي التزلج في الثلج وانطلقت نزولا.

هس الثلج تحت زحافتيها، تعرجت يمنة ويسرة على المنحدر، وسرّها ان

غابرييلا ترتدي لوناً زاهياً يمكنها ان تراه بسهولة عبر المسافة التي اتسعت
بينهما لأن الفتاة زادت سرعة هبوطها. لم تر السن الصخرية الحادة تبرز كما
الرمح أمامها لتستدير وتتحاشاها. بسطت ساقيها في انفراج شديد كي
يلتقي طرفا زحافتيها مع بعضهما وذلك في محاولة أخيرة يائسة لايقاف
اندفاعها المتهور فسقطت على الثلج الذي تناثر حولها وانزلقت على جنبها
عند قاعدة الصخرة تقريباً. السقوط أفضل من التحطم، فكرت في نفسها
وهي تحدّق الى الصوان القاسي. لو انها اصطدمت به لأصيبت بضرر
فادح. وفجأة رأت جسماً أحمر ينطلق أمامها ويغطيها برذاذ من الثلج. لم تدر
ان لورا كانت تهبط خلفها بكل هذا الالتصاق، ومن الواضح ان الفتاة لم
ترها وهي تسقط لأنها لم تحاول التوقف بل تابعت هبوطها المتعرج على
المنحدر. وقفت سوريل باحتراس وأزاحت نظارتيها الى جبينها. لقد
توارت الشمس وراء غيمة رمادية كثيفة ولم يعد هناك أي وهج على الثلج.
سارعت الى فحص أحزمة زحافتيها لتتأكد من ربطها المحكم وما كادت
تستقيم في وقفتها حتى انطلق امامها جسم آخر مدثر ببزة تزلج بلون
القرفة.

ـ انتظرني يا سنيور!

صرخت بأعلى صوتها وهي تضغط بقوة على عمودي التزلج وتنطلق
خلفه.

رأت رامون يسبقها وينزلق بسرعة على مرتفع ثلجي كانت الفتاتان قد
قطعتاه منذ فترة فلم تر لها أثراً. وبقي لها أمل وحيد، هو ان تستطيع رؤية
رامون عندما تصل المرتفع لكن ذلك استغرقها وقتاً اطول مما توقعت،
وحين بلغته اخيراً لم تر أمامها سوى منحدر حاد آخر، في نهايته وشاح من
ندف ثلج دوّار. لم يشاهدها أحد تسقط وبالتالي لم يتوقف احد لينتظر
وصولها. . . في أي اتجاه ذهبوا؟ من المفروض ان تقتفي آثارهم، لكن
الثلج كان يندف بغزارة شديدة ماحياً كل آثار التزلج. ليس امامها الا
متابعة الهبوط، ومتى اخترقت وشاح الثلج فقد تستطيع رؤية أبراج
وأسلاك المصعد الكهربائي، وعندها ستعرف الاتجاه الصحيح، المؤدي
الى الفندق. أخذت تتعرج على المنحدر الذي بدا بلا نهاية وحاداً جداً، بل
أشد انحداراً من أي مكان تزلجت عليه من قبل. هل هو المكان نفسه الذي

ارتقوه باكراً ذلك العصر ام انها سلكت اتجاهاً معاكساً؟ لو ان الشمس تظهر قليلا لتأكدت من ذلك لكن ليس هناك أي بصيص في السماء المربدة التي ازدادت تمازجاً مع الوشاح الثلجي مما أشعر سوريل بأنها مغمورة بغطاء رمادي كثيف. ومن خلال هذا الغطاء برزت صخرة اخرى ناتئة فسقطت من جديد وهي تحاول تحاشيها. غطاها الثلج وتقطعت انفاسها، وما ان نهضت بصعوبة حتى كادت تطرح ارضاً عندما انقض فجأة متزلج آخر مخترقاً وشاح الثلج. لمحت شريطين ابيضين يموجان على ذراع جاكيت التزلج السوداء حين مر بها المتزلج وتابع انزلاقه السريع مبتعداً عنها وهو يشق منعطفاته بيسر ودقة كأنه في سباق تزلج. ارتفعت معنوياتها لوجود شخص معها، فلحقت به وهي تحاول الانعطاف بالسرعة ذاتها، ولكن ما ان ارتقت مرتفعاً ثلجياً آخر حتى وجدته قد اختفى هو الآخر ولم تر امامها سوى مساحات قاحلة مكسوة بالثلج، تمتد نزولا الى صف من الأشجار المتوقفة عن النمو.

أرهقتها محاولاتها المتكررة فوقفت مستندة على عموديها تسترد انفاسها وقد اجتاحها ذعر لكونها فشلت في ايجاد برج المصعد الكهربائي. وفجأة لمحت بصيص نور من خلال الأشجار المنتشرة في قاع المنحدر فبدأت فوراً تتزلج صوبه. كان المنحدر ما يزال حاداً واضطرت الى قطعه عدة مرات وهي تشعر طوال الوقت بأن الريح تشتد تدريجياً وتحوّل تساقط الثلج اللطيف الى عاصفة هوجاء. لكن بصيص الضوء استمر يشع كمنارة من خلال الضباب. وأخيراً استطاعت رؤية مصدره. ارتفعت معنوياتها فوراً، فلا بد انه احد الملاجىء التي أراها رامون اياها على الخريطة. ستجد في داخله متزلجين آخرين يحتمون به وستجد دفئاً وطعاماً، وقد تلتقي حتى برامون وابنتيه. وبشعور ارتياح جارف أخذت تزيد سرعتها على درب يتعرج عبر غابة صغيرة من الصنوبريات وهكذا لم تر رقعة الجليد الا حين أصبحت فوقها وراحت تنزلق هنا وهناك حتى فقدت توازنها وسقطت على ظهرها فيما أخذت ساقاها وقدماها الملتصقة بالزحافتين تتطوح معها في الهواء، كذلك ارتطم رأسها بشيء صلب جداً. انتابها ذهول فاستلقت بضع لحظات على الأرض وأحست ندف الثلج يستقر بنعومة على وجهها. . يجب ان تنهض بسرعة قبل ان يطمرها هذا الندف الرطب

اللاصق. رفعت رأسها لكنه دار بها وآلمها، وبالفعل رأت نجوماً تتراقص أمام بصرها قبل ان تفقد وعيها.

عادت الى رشدها وأحست من خلال الغمام انها في وضع مقلوب وان رأسها النابض يتأرجح يمنة ويسرة. كان هناك قضيب حديدي يضغط على ساقيها، وتحت معدتها شعرت بشيء قاس ومشدود يتحرك قليلا. وبعد شيء من الحيرة ادركت انها محمولة على كتف شخص ما بالطريقة التي يحمل بها رجل الاطفاء انساناً مصاباً. تأرجح رأسها بعنف وسمعت خبط قدمين على درج خشبي ثم صوت باب يُفتح. كان هناك شعور بالدفء ورائحة كاز وصوت باب يُغلق. استمر رأسها يتأرجح ثم أحست بجسمها يُنزل بلطف عن الكتف ويُمدد على شيء يصر تحت ثقلها. شخص ما كان يرفع قدمها اليمنى فانهضت رأسها ورأت يدين تفكان رباط جزمتها. ثم رأت شريطين أبيضين على كم جاكيت سوداء لماعة. رفعت بصرها قليلا فرأت جانب وجه فوق ظهر مدار، ياقة مفتوحة السحاب، ذقناً بارزة، ثنايا حول زاوية فم، منخراً متسعاً لأنف مستقيم دقيق، عظمة خد بارزة تحت حدقة سوداء وجبهة عريضة يعلوها شعر فاحم السواد ويميل الى الطول.

سألته بالانكليزية وقد نسيت للحظة في أي بلد هي:

ـ ماذا حدث؟

أدار الرجل رأسه بقوة فرأت عينين فاتحتين تومضان باستغراب. تذكرت أين هي وكررت السؤال بالاسبانية، فأجابها بالانكليزية وبلهجة اميركية متشدقة:

ـ لقد سقطت وارتطم قفا رأسك بجذع شجرة مما أفقدك وعيك. اذا تلمست رأسك ستجدين نتوءاً بحجم البيضة. من حسن حظك انني كنت خلفك.

ـ خلفي؟ حسبت انني كنت الحق بك! ألست انت الذي كان يتزلج على المنحدرات؟

أخرج الجزمة ووضعها على الأرض، وأجابها وهو يفك رباط الفردة الثانية:

ـ اجل، أنا. لماذا كنت تلاحقينني؟

ـ لأني أملت ان تقودني الى طريق الفندق. لقد فقدت الاتصال مع من

اتزلج ثم اختلطت عليّ الاتجاهات بسبب العاصفة الثلجية. ألا يوجد احد هنا؟

ـ كلا، لا يوجد هنا سوانا.

أزاح الجزمة الثانية ووضعها على الأرض ثم وقف فبدا يعلوها كمارد أسود. رفعت سوريل رأسها قليلا وأخذت تجس قفاه بأصابعها وهتفت:

ـ آخ! انه فعلا بحجم بيضة، أليس كذلك؟ أتساءل ان كنت لا تمانع في القاء نظرة للتأكد من سلامة الجلد؟

ـ كما تشائين. سآتي بالقنديل.

آلمها رأسها فاستلقت مجدداً، لكن حين سمعته يعود، أدارته على الوسادة الخشنة لتراقب اقترابه مع المصباح وهي تأمل ان تتمكن من رؤية وجهه بوضوح اكثر. لكن وهج القنديل الخفيف أبرز فجوات وجهه وزواياه وأضفى على جلد وجنتيه المشدود لمعة ذهبية جامدة.

وضع القنديل على كرسي منخفض قرّبه من السرير المتنقل الذي تستلقي عليه ثم ركع على الأرض وسألها:

ـ هل يمكنك الجلوس؟

ضغطت بيديها على جانبي السرير الضيق ودفعت نفسها الى أعلى، وللمرة الثانية تراقصت المشاهد أمامها وكادت تتهاوى الى الوراء لو لم يسارع الى اسناد كتفيها بذراعه. وغمغمت:

ـ أرجو ان لا يكون لدي ارتجاج دماغي.

ـ هذا ما أرجوه أنا أيضاً. هل لك ان تقدمي رأسك قليلاً، من فضلك؟

امتثلت لطلبه وأحسته يفرق شعرها. كانت لمسته خفيفة لكن ثابتة. قال:

ـ من الصعب ان أرى جيداً بسبب شعرك الكثيف، لكن لا يبدو هناك اي أثر للدم.

فأحست بقشعريرة بسيطة حين لفحت أنفاسه أسفل عنقها وسألها:

ـ هل يؤلمك رأسك؟

ـ نعم، يؤلمني كثيراً.

ـ اذن استلقي واسترخي. لقد تذكرت الآن ان الراحة والامتناع عن الحركات العنيفة هما أفضل علاج لضربة الرأس.

انصاعت لنصيحته ولاحقته ببصرها وهو يحمل القنديل ويضعه على طاولة مستديرة.

ـ هل هذا ملجأ؟

فاستدار لينظر اليها عبر الغرفة واستند الى حافة الطاولة. كان المصباح خلف ظهره فاستحال عليها ان ترى وجهه جيداً. اجابها:

ـ انه ملجأ.

ـ أهو بعيد عن الفندق؟

ـ حوالى عشرة كيلومترات.

ـ اوه، لم يخطر لي أبداً انني ابتعدت الى هذا الحد. كنت آمل ان اجد المصعد الكهربائي.

ـ انه الى الشمال من هنا.

قطّبت وهي تحاول ان تتذكر خريطة المنطقة التي بيّن لها رامون مواقع الملاجىء عليها، لكن ألم رأسها كان يجهد ذهنها فعجزت عن تصور الخريطة بشكل واضح.

ـ تبدين قلقة يا سنيوريتا.

صوت الرجل العميق قطع عليها سيل أفكارها فالتفتت صوبه بسرعة. كان ما يزال يستند الى الطاولة ويراقبها. اجابته:

ـ لست قلقة على نفسي، بل على الآخرين. سينتابهم الذعر لاعتقادهم بأنني ضعت وسط الثلوج. لا أظن ان هناك طريقة ما تمكنني الليلة من الاتصال بالفندق لأعلمهم بمكان وجودي؟

فردّ بصوت فاتر:

ـ لا يوجد هاتف ولا كهرباء كما ترين. عليك ان تتذرعي بالصبر وتنتظري طلوع الصباح وحيث من المفروض ان تنتهي العاصفة الثلجية. نامي الليلة جيداً لتشعري غداً بالتحسن. سأدلك على الطريق في ضوء النهار. ان قلقك على أصدقائك لن يجديك نفعاً، لذا من الأفضل ان تسترخي وتشكري الله على انك سالمة.

فأجابته بسرعة خشية ان يتبادر الى ذهنه بأنها وقحة:

ـ اني احمد الله جداً. كذلك أشكرك كثيراً على انقاذك لي.

ثم أضافت وهي تبتسم له عبر الغرفة:

- لقد تأخرت بشكرك. أليس كذلك؟ اخشى ان ضربة رأسي قد شتتت ذهني، فأنا لا افهم لغاية الآن كيف جئت خلفي في حين كنت أنا وراءك.

- رأيتك تسقطين على المنحدر وكدت ألقيك على الأرض مرة اخرى. يجب ان تكوني اكثر احتراساً وتنظري حولك لتتأكدي من خلو دربك من متزلج آخر قبل ان تتابعي الهبوط، فلو اننا ارتطمنا ببعضنا لأصيب كلانا بألم وأضرار على الأرجح، ولو انك لم تعاودي التزلج فوراً، لكنت توقفت ورجعت لأساعدك. لكن سقطتك بدت لي سليمة فجئت هنا لأحتمي من العاصفة. دخلت وأشعلت النار والمصباح ثم نظرت الى الخارج ورأيتك تهبطين في اتجاه الاشجار.

توقف قليلا وحكّ جانب وجهه بيده ثم تابع:

- كان فيك شيء مألوف لدي. حسبتك امرأة اخرى أعرفها ولذا خرجت لملاقاتك. مررنا ببعضنا بين الأشجار حيث رأيتك لكنك لم تريني. وهنا أدركت انك لست المرأة التي ظننت انك هي، واستدرت لألحق بك، ثم شاهدتك تسقطين مجدداً.

رفع كتفيه وأنهى كلامه بقوله:

- لو لم يحثني الفضول على الخروج لبقيت حيث سقطت.

ارتجفت سوريل قليلا ومحت من ذهنها صورة تخيلت فيها نفسها تستلقي غائبة عن الوعي والثلج المتساقط يغمرها بالتدريج. ثم قالت بشيء من المرح:

- أرجو الا تكون أصبت بخيبة حين وجدت انني غير المرأة التي تعرفها.

لم يجبها فوراً بل استمر يحدق اليها بطريقة حذرة غريبة كما يفعل صياد يراقب حيواناً يطارده وينتظر الرد على أية حركة تصدر منه، مما جعل سوريل تحس بقشعريرة ارتهاب. وقال اخيراً بلطف:

- كلا، لم أصب بخيبة، بل العكس هو الصحيح.

وفكرت سوريل مقطبة، العكس قد يعني انه مسرور لأنها لم تكن المرأة التي يعرفها. لكن التفكير ومحاولة تفسير ما لمح اليه سرعان ما أرهقا رأسها المصدوع فأطلقت تنهدة صغيرة واستلقت على الوسادة من جديد. وهنا نزع الرجل عنه جاكيت التزلج وقذف بها على كرسي خشبي قريب ثم

سألها فجأة:

- ألست جائعة؟

- ليس كثيراً.

- أيمكنك ان تتناولي بعض الحساء؟

- ألديك حساء؟

- هناك نوع معلب في الخزانة ووعاء لتسخينه على الموقد. ليس عليك فعل شيء فأنا قادر تماماً على تحضيره.

التقت نظرتاهما ثانية في ضوء الموقد وراحا يقيسان بعضهما بعضاً. لم تستطع سوريل ان تعلم شيئاً من وجهه المظلل انما بدا لها انه يراقبها بجسمه كله وليس فقط بعينيه، وان كل عضلاته كانت مقلصة ومستعدة للانقضاض في حال صدرت عنها مطلق حركة... قالت بوهن:

- ارحب بشيء من الحساء، مع الشكر.

ثم احست فجأة بحاجة أخرى ملحة فسألته:

- هل يوجد حمام؟

- نعم. حمام صغير تصلينه عبر الباب في مؤخرة الغرفة.

همت بالجلوس فتحرك فوراً كما توقعت ان يفعل وقال:

- انتظري، سأساعدك. قد تشعرين بالدوار عندما تقفين ولا أريدك ان تقعي ثانية. لقد سقطت هذا العصر بما فيه الكفاية.

- لا بد انك تحسبني متزلجة فاشلة، وأنا فاشلة فعلا بالمقارنة معك فأنت متزلج ممتاز.

أجابها باستغراب جذل:

- شكراً لك، سنيوريتا. أنا أحاول أقصى جهدي. والآن، هاتي يدك.

ترددت وحدقت الى اليد الممدودة نحوها. كانت واسعة الكف، مربعة الشكل وتبدو صلبة وعضلية كسائر جسمه. لكنها كانت تخاف أي احتكاك حسي ومصممة على الوقوف بلا مساعدة. تمسكت بالسرير جيداً ونهضت واقفة الا ان الدوار عصف برأسها وهوت بين ذراعيه مباشرة. فقال هازئاً:

- اذن أنت واحدة من النساء المتحررات اللواتي يسخرن من يد الرجل الممدودة للمساعدة.

وهذه المرة حركت انفاسه شعر صدغيها وبعواقب مهلكة، اذ اجتاحت

اعصابها مشاعر غريبة، وأحرقت كيانها رغبة فجائية في الالتصاق به.
وقالت مؤكدة:
ـ انني الآن على ما يرام.
استدارت بدون ان تنظر اليه وأرغمت نفسها على السير بثبات في اتجاه الباب المذكور.
وعندما رجعت الى الغرفة شعرت ان الاغتسال خفف صداعها الى حد ما. وجدت الرجل واقفاً امام الموقد يحرك محتويات وعاء أسود يرتفع منه بخار شهي الرائحة. سارت حول الطاولة المستديرة الموضوع عليها القنديل وجلست على احد الكراسي تقول بتهذيب:
ـ رائحة الحساء شهية.
ـ انه حساء لحم يحتوي على قمح مجروش، مغذٍّ جداً ومناسب تماماً في طقس كهذا.
سار الى الطاولة حاملا الوعاء وراح يغرف الحساء ويسكبه. سقط شعاع من ضوء المصباح على خده الأيمن فكشف عن ندبة بيضاء بشعة، تمتد من أسفل أذنه حتى زاوية فمه كما لو ان أحداً تناول سكيناً في مرة ما وجرف اللحم من وجهه. وهتفت شاهقة دون تفكير:
ـ اوه، وجهك! ماذا تراك فعلت به؟
خيم صمت متوتر ثقيل حين أخذ يحدق اليها، ثم تلاقت أهدابه السوداء الطويلة مغطية بريق عينيه القاسي وارتفع جانب فمه الأيسر عندما ابتسم. انزل المغرفة من يده ورفع اصابعه يتحسس الندبة، وعلق ساخراً:
ـ لا يفترض منك ان تذكريها بل يفترض ان تشيحي عنها وتتظاهري بأنها غير موجودة. ألم يخبرك احد بأنك لا يجب ان تعلّقي على اي تشوه جسدي؟
أثرت سخريته في سوريل اكثر مما يجب فتمتمت بحرج:
ـ انا... آسفة. لم انتبه لها بتاتاً. لم أقدر ان أراك بوضوح قبل الآن و...
فقاطعها بصوت جاف:
ـ لا تقولي اكثر من ذلك، اني أتفهم مقصدك، بل أظن انني أفضل تعليقك الجريء على النظرات المختلسة والصمت المتعمد. والآن، هل

لك ان تتناولي الحساء؟
ـ اذا كنا سنأكل معاً ونقضي الليلة هنا فيجب ان نتعرف الى بعضنا بعضاً. أنا سوريل برستون.
ـ سو... ريل. هل هذا اسم انكليزي؟
ـ انه اسم يطلق على لون أحصنة معين.
ضحكت قليلا لنظراته المندهشة وأردفت تشرح:
ـ انه لون بني يميل الى الاحمرار. والدي سماني هكذا، وهو مدرب خيول في انكلترا.
ـ هل انت هنا في اجازة؟
ـ كلا، اني اعمل في منزل رجل اعمال في ميدلين، كرفيقة لزوجته ولابنته.
فسألها معلقاً:
ـ ورفيقة له ايضا!
حدجته بنظرة باردة أملت ان تؤثر فيه وردّت بحدة:
ـ تعليقك هذا تخطى حدود الأدب.
ـ ليس من غير المألوف ان يكون للرجل المتزوج رفيقة في هذه البلاد، وحتى في ميدلين حيث يميل الناس الى الاستقامة الخلقية التي تتناسب مع مراكزهم الصناعية الوقورة.
أجابته بجمود وهي تحاول السيطرة على اعصابها:
ـ لكني لست رفيقة رامون أنهل ولا أريد ان أكون كذلك.
ـ رامون انهل، رئيس شركة انهل للنسيج؟
ـ اجل، هل تعرفه؟
ـ سمعت به فقط. لماذا يحتاج رفيقة لزوجته وابنتيه؟
ـ زوجته أصيبت بضرر بالغ في تحطم سيارة قبل بضعة أشهر ولا تستطيع المشي. انا مدلكة بدنية متدربة وأساعدها يومياً على تمرين عضلاتها.
ـ اما كان باستطاعة مدلكة كولومبية ان تقوم بهذا العمل؟
ـ اجل، لكن مونيكا انهل لم تقدر، او لم ترد التعاون مع مدلكات المستشفى. انها انكليزية مثلي ومن بلدتي نفسها. لقد جاءت امها لزيارتها بعد الحادث فقلقت على وضعها ووافقت على محاولة ايجاد مدلكة انكليزية

تأتي هنا لتساعدها. قرأت الاعلان الذي أدرجته امها في الصحيفة المحلية فتقدمت لهذا العمل. كنت ارغب دائماً في زيارة اميركا الجنوبية، وبما اني اتكلم بعض الاسبانية فقد زكت السيدة بولتون مؤهلاتي وأوصت بي لدى السنيور انهل.

- اسبانيتك جيدة. اين تعلمتها؟

- من امي التي هي نصف اسبانية. كان والدها مهندس مناجم بريطانياً في اسبانيا وتزوج آنذاك امرأة من الأندلس.

- فهمت. الشعر الأحمر والعينان السوداوان تقريباً، هما خليط غير عادي.

تطلعت اليه فرأته يلصق ظهره بالكرسي ويحدق اليها. وتابع:

- هل تصبغين شعرك ام تلبسين شعراً مستعاراً؟

- هذا الخليط ليس اكثر ندرة من خليط الشعر الاسود الفاحم والعينين الرماديتين. هل شعرك طبيعي ام انك تلبس قطعة اصطناعية منه لتخفي صلعاً متزايداً يا سنيور... سنيور؟

توقفت عمداً ورفعت حاجبيها متسائلة وهي تأمل ان يزودها باسمه. لكنه علق بجفاف:

- انك تستلين أجوبتك من تحت ابطك.

ثم رفع يده الى شعره ليشد الخصل القصيرة التي انسلت الى جبينه وتابع:

- أترين، انها لا تسقط. امتحنيها بنفسك ان شئت.

تحدقت الى شعره المرن الكثيف ووجدت نفسها تقلص يديها على حضنها كي تقاوم اغراء ملحاً بمد يدها وتمرير اصابعها في تلك الخصلات الكثة. وغمغمت:

- كلا، شكراً... لم تخبرني اسمك.

فاستوى جالساً وأجاب بلا اكتراث:

- يمكنك ان تسميني دومينغو.

- لكن ذلك يعني يوم الأحد بالاسبانية.

- وماذا في ذلك؟ لقد ولدت في يوم أحد وأمي..

وهنا ظهرت ابتسامته الجانبية الجائرة وأردف:

- لا بد انك تعلمين عناد الأمهات في ما يختص باطلاق الأسماء على ابنائهن، انهن يشبهن الآباء في طريقة تسميتهم لبناتهم.

- لكن سوريل هو اسمي الحقيقي.

- ودومينغو هو اسمي الحقيقي ايضاً.

- اتعيش في الجوار؟

- تقريباً.

- اوه، أعتقد انك لا تريد اخباري أي شيء عن نفسك.

- لقد اعطيتك اسماً.

- اعطيتني اسماً لفقته من عندك.

- كلا، ثقي اني ما فعلت ذلك يا سنيوريتا، فدومينغو اسم مألوف في هذا البلد.

- اجل، هو عادي الى حد انه لا يعني شيئاً بدون اسم العائلة. دومينغو ماذا؟

- اختاري ما يحلو لك من الأسماء. ان اطلاعك على اسمي الكامل ومكان سكني ونوع عملي لن يزيدك ثقة بي كما تعلمين، فبوسعي ان أنسج لك حفنة من الأكاذيب حول نفسي وتأخذينها على محمل الصدق.

اضطرت الى الاقرار بأنه مصيب في قوله، فأية معلومات يزودها بها لن تجعله موضع ثقة ان لم يكن أهلاً لها. قطبت حاجبيها وتفحصته بفضول. ندبة خده، عيناه القاسيتان الفاتحتا اللون، فمه المتماسك الحسن التكوين وانحناؤه الساخر، بروز فكه المشاكس والمعبّر عن صلابة خشنه. بدا وكأنه يعايش الأخطار ويمارسها.

هبطت نظراتها الى عنقه والى سترته العاجية المحاكة من اجود الصوف، وخمنت بأنها قد صممت وصنعت على يد دار أزياء رجالية معينة ومتخصصة في تصميم الملابس الرياضية لأهل الترتب والثراء. كانت قد لاحظت ان بزته التزلجية وجزمتيه وزحافتيه من اجود الاصناف وأغلاها ثمناً. من الواضح انه ثري جداً، ومع انه يتكلم الانكليزية بلهجة اميركية الا ان لغته الاسبانية قشتالية محضة كالتي يتكلمها الكولومبيون ذوو الأصل الاسباني.

وقال متشدقاً بهزء:

- اياك ان تحكمي على رجل من خلال شكله او ثيابه، بل احكمي عليه من خلال تصرفاته.

- ما الذي ساقك الى الظن بأنني احكم عليك؟

- الطريقة التي تنظرين بها الي.

فأجابت مدافعة عن نفسها:

- انني انظر اليك بالطريقة نفسها التي ما زلت تنظر بها الي طوال الوقت.

- لا استطيع موافقتك، فأنت تحكمين عليّ وتحاولين تحديد نوعيتي بين الرجال. اما أنا، فقد استمتعت وما أزال استمتع بالنظر اليك دونما شبع، اذ قليلا ما احظى برفقة امرأة مثلك.

- أوه، لا استطيع تصديق ذلك، فقد قلت قبلا انك حسبتني امرأة تعرفها.

فقاطعها برقة:

- لم أقل اني لا أحظى أبداً برفقة امرأة.

وهنا حدث تغيير دقيق في طريقة نظره اليها اذ زالت القسوة من عينيه الرماديتين وبدت نظرته تضغط عليها بلطف وهي تتلكأ على كل قسمة من قسمات وجهها، ثم تهبط ببطء الى عنقها الذي تكشفه ياقة بلوزتها المفتوحة. وأضاف:

- قلت امرأة مثلك. سوريل، الم يخبرك احد انك ذات جمال غريب نادر؟

أفقدها تعبير عينيه رباطة جأشها فأشاحت وجهها عنه. كانت الغرفة تعج بالظلال وليس هناك من أصوات عدا فحيح القنديل الخفيض وطقطقة النار وأنين الريح المتسرب من النافذة خلفها. كانت لوحدها في كوخ منعزل مع رجل غريب اعترف لتوه بأنه يستمتع بتأملها، وينظر اليها الآن بطريقة حميمة مفترسة تبعث في اعصابها رهبة زاحفة. التفتت اليه بحذر. كان ماضياً في مراقبتها وأهدابه السوداء الكثة تخفي بريق عينيه تقريباً، وللمرة الثانية تكوّن لديها انطباع بأن كل عضلاته كانت ملتفة مع بعضها البعض استعداداً للانقضاض لدى قيامها بمطلق حركة. وسألها بهدوء:

- أيقلقك وجودك معي بمفردك؟ أتراك تتمنين لو انني تركتك على الثلج

لتموتي من الصقيع؟

فأحست بقشعريرة تغزو عمودها الفقري أعقبها شعور مفاجىء بتعب جارف، وبدون ان تعي تماماً رفعت يدها وفركت جبينها بحركة قريبة من الانهزام، فالتزلج المضني الطويل على المنحدر الحاد أرهق قواها، وشعرت الآن بألم في كل أوصالها وبدأ رأسها ينبض من جديد. ولشدة آلامها وضيقها تأوهت قائلة:

- اوه، ماذا سأفعل؟ ماذا استطيع ان أفعل؟

نهض الرجل واقفاً ببطء ثم أزاح كرسيه وقال بفتور:

- الحل الأفضل ان تنامي.

فجأة، ما عادت تبالي بأية ترتيبات قد يقترحها وسألته بوهن:

- اين أنام؟

- على السرير اياه الذي استلقيت عليه قبلا. سأقربه من الموقد وسأرتب امر النار لتظل مشتعلة طوال الليل. توجد هنا حرامات ومن المفروض ان تكوني مرتاحة تماماً.

أحسته كما في الحلم يتحرك هنا وهناك حين جلست الى الطاولة وأسندت رأسها النابض على مرفقيها. لكنها أجفلت بعنف حين شعرت بلمسة على كتفها ورفعت وجهها لتجده واقفاً قربها. قال بصوت هادىء:

- سريرك أصبح جاهزاً.

سرّها انه لم يساعدها على النهوض واستطاعت ان تمشي الى السرير بثبات معقول ثم استلقت عليه قريرة النفس واغمضت عينيها. شعرت بحرام يُلقى عليها وسمعت خطاه تبتعد عنها. وعلى الفور استرخت اعصابها وانتابها احساس بأنها تسقط وتسقط الى هاوية عميقة سوداء ثم تغلب عليها النعاس فنامت.

٢ـ طرد بلا انذار!



استيقظت سوريل على مهل ورمشت عينيها في نعاس باتجاه نور الفجر الرمادي المتسلل عبر نافذة صغيرة. اين هي؟ ذعرت لكونها لم تتعرف فوراً الى الغرفة واستوت جالسة تحدق في ارجائها. وعاد بصرها بطبيعة الحال الى السرير الثقال الآخر الموضوع في ناحية الموقد الأخرى. كان يستلقي عليه شخص يبدو غارقاً في النوم لا يبدو منه الاّ رأسه المكلل بالشعر السلكي الاسود، اما سائر جسمه فمغطى بحرام هندي زاهي الالوان كالحرام الذي يغطيها.

مشهد شعره الاسود اعاد الى ذهنها ذكرى الليلة الفائتة بشكل متسارع فتحسست قفا رأسها ولم تجد هناك اي نتوء. ادارت رأسها فلم تحس اي صداع، كذلك لم تشعر بشيء من الارهاق الذي سلبها كل قواها عصر

امس. لقد تحسنت كثيراً واصبحت قادرة تماماً على مواجهة الخطر المتمثل في الرجل النائم على السرير الآخر. عبرت الغرفة على رؤوس اصابعها وسارت الى النافذة لتستطلع حالة الطقس.

لقد توقف الثلج، وفي ضوء الشمس بدت المنحدرات الجبلية ملتمعة، بعضها اصفر وبعضها زهري في سماء باهتة الزرقة. بحثت في الخزانة فوجدت مرطباناً من القهوة ووعاء آخر ملأته بماء من الابريق ووضعت الوعاء على الموقد، ثم طوت الحرام الذي تغطت به وجلست على حافة السرير تنتظر غليان الماء. ركزت مرفقيها على ركبتها وغمرت ذقنها بيديها وراحت تحدق الى الرجل النائم على السرير المقابل. كان قد استدار واستلقى على ظهره فسقط الضوء على جانب وجهه المندبّ، وهنا تدافعت الاسئلة الى ذهنها، كيف اصيب بالجرح؟ لماذا؟ متى؟ اين؟ انحنت الى الامام لترى الندبة اكثر، ثم انزلقت عن السرير ودبدبت على ركبتيها حتى انحنت عليه وكأنها اذا تمعنت في وجهه تستطيع التوصل الى الاجوبة المطلوبة. ما اكثف اهدابه وما اشد سوادهما! كم هو مغرٍ فمه المائل وكأنه يبتسم لفكرة ساخرة راودت فكره. لا بد انه كان وسيماً جداً قبل اصابته بهذا التشوه، كلا، ما يزال وسيماً بشكل قاس، عنيد وكامل الرجولة.

ومضت عيناه من خلال اهدابه السوداء. كان قد استيقظ واخذ يراقبها. بدأت تتحرك بعيداً عنه لكنه كان اسرع منها اذ ارتفعت ذراعه اليسرى كما البرق ولفت عنقها بثقل مما اضطرها الى احناء رأسها حتى اقترب وجهها من وجهه الى حد استطاعت معه ان تحس بشعر ذقنه القاسي يجز بشرتها الناعمة، ثم عانقها بسرعة. وهمس قائلاً:

ـ صباح الخير، سنيوريتا. أردت ان افعل ذلك ليلة امس لكنك كنت مرهقة، والآن ساعيد الكرة.

لهثت سوريل وهي تزيح رأسها بعنف وتحاول الافلات من قبضته:

ـ كلا. اطلق سراحي.

ـ ليس الآن.

شدد ضغطه عليها فحاولت التملص منه بدفع صدره بكفيها وفشلت.

وهنا انتابها ذعر شديد احسته يقبض على قلبها ويفرز منها عرقاً بارداً ثم يقلصها. دفعته عنها ثانية واستطاعت هذه المرة ان تتحرر منه. هتفت

بانفاس لاهثة وهي تعثر حافة بلوزتها تحت خصر بنطلونها:

ـ لماذا فعلت ذلك؟

ـ لأني اردت ان افعله.

ـ وهل تفعل دائماً ما تريد؟

ـ معظم الوقت، وعندما تتاح لي الفرصة.

جلس نصف جلسة واضعاً احد مرفقيه على الوسادة ومسنداً رأسه على يده، فاعتراها نصف خوف من امكانية اعتقاله لها مجدداً. فابتعدت عنه زاحفة على ركبتيها. التقى حاجباه في عبسة حائرة وسأل:

ـ ما بك؟

ـ الا تقدر ان تحزر؟ لقد استغليت موقفي. هذا سبب ضيقي.

ـ استغليتك؟ لكنك دعوتني بنفسك الى عناقك.

فشهقت قائلة والحنق يضيق انفاسها:

ـ لم افعل!

ـ بل اعتقد انك فعلت. فعندما فتحت عيني ورأيتك تنحنين علي، قلت لنفسي، ها هي السنيوريتا تشعر بتحسن كبير هذا الصباح وترغب في شكري على انقاذي لها من العاصفة الثلجية.

ـ لم اشأ عناقك.

ارتجفت داخلياً وتمنت لو انها بقيت على سريرها مغطاة بالحرام. فمرأى صدره العاري وعضلات كتفيه البارزة من تحت قميصه القطني الابيض جعلها تشعر بشكل ما بشدة سحره.

لمس ندبة خده باصابعه وسأل:

ـ أبسبب هذه؟ لدي المزيد منها في أماكن اخرى ليست معروضة الآن للنظر انما يمكنك رؤيتها اذا شئت...

ـ لا، لا.

قالت ذلك بحدة، اذ خشيت من جهة ان يظنها تقرف من ندبته، ومن جهة ثانية ان يقدم على نزع قميصه ليريها الندوب الأخرى، فأضافت بسرعة:

ـ انا لم افكر فيها بتاتاً.

ـ اذن لم تنفرين مني؟ ولماذا تمثلين هذا الدور..؟

توقف وفرك خده مفكراً ثم فقش بسبابته وابهامه وتابع ساخراً:
- دور العذراء الثائرة؟
فاحتجت بزعل:
- انه ليس تمثيلاً.
ثم قضمت شفتها السفلى وقلصت قبضتيها على جنبيها لتضبط فورة الغضب التي اجتاحتها لمرأى السخرية في عينيه، واردفت تفح كالأفعى:
- لا اريد ان يعانقني . . . رجل على شاكلتك.
- واي نوع من الرجال انا؟
- من خلال الحكم على ما قمت به قبل قليل فانت من نوع اعرفه جيداً. انك تعتقد ان المرأة لا تصلح الاّ لشيء واحد، وكنت تأمل ان تتوج لقاءنا العرضي هذا به. اليس كذلك؟
- اقر ان الفكرة راودتني لكنني افهم من غضبك الناري علي انك لا تشاركينني رغبتي.
- اجل، لا اشاركك اياها. اوه، ماذا تظنني في الواقع؟
فجرفها بنظرة متمهلة وباعجاب مغرور ألهب الدم في وجنتيها واوقد شرارات غضب في عمق عينيها، وقال بالاسبانية:
- اظنك امرأة رائعة ومثيرة.
ايقاع اللغة الجميل جعل هذه العبارة البسيطة تبدو كأغنية حب. وتابع متشدقاً بانكليزية مقتضبة:
- من دواعي الأسف الشديد ان عروقك تحوي ثلجاً بدل الدم. فمن خلال حكمي على لون بشرتك توقعت ان تكوني اكثر دفئاً وحرارة عاطفية.
ابتسم بشيء من المرارة واردف بلهجة استسلامية:
- اني، كما ترين، فعلت بنفسي ما حذرتك من فعله. لقد حكمت عليك من خلال شكلك.
تنهد ثم سألها والمرارة تنتشر على صفحة وجهه:
- اي نوع من الرجال يروق لك؟ وأين هو؟ لماذا لا يأتي ليحميك مني ومن الوقوع في مخالب رجل على شاكلتي؟
- لا . . . لا احتاج الى اي رجل كي يحميني فانا قادرة على حماية نفسي.

نهضت واقفة واستدارت كالعمياء الى الموقد وهي تضيف:
- سأصنع القهوة.
- حسناً.
لم يضف الى ذلك، وسمعت صرير سريره حين قفز عنه الى الارض ثم وقع قدميه وهو يعبر الغرفة الى الحمام.
ارتجفت يداها بشدة والى حد تناثر معه مسحوق البن على الطاولة وطقطقت الملعقة على جوانب الفناجين الفارغين. لماذا ترتجف هكذا؟ الأن رجلاً غريباً قد اخترق خطوط دفاعها؟ ام لأنه احتضنها بطريقة لم تعهدها منذ أيام مارتن. . . ؟
تذكرت لمسة اصابع الرجل الغريب اللطيفة المغرية وترنحت حيث تقف فاغمضت عينيها بقوة. كلا، مارتن لم يحضنها ولم يعانقها ابداً بهذه الطريقة، ولو انه فعل لما كانت الآن في جانب آخر من العالم والى حيث هربت لتنسى حقيقة ان مارتن لم يحبها ولن يحبها ابداً.
- حسبتك قلت انك ستصنعين قهوة؟
تكلم الرجل مؤنباً فاستفاقت من حلمها النهاري ثم رفعت الوعاء وسكبت القهوة.
- اود العودة الى الفندق في أسرع وقت ممكن.
كان في كامل ثيابه، يرتدي بزة التزلج ويبدو رجلاً خفيف الحركة متين البنية، يسير برشاقة مختالة غريبة كما لو انه معتاد على العمل المسرحي. تناول الفنجان منها وقال بجفاف وهو يراقبها كما الصقر بعينيه اللامعتين القاسيتين:
- ان تعجلك في مغادرة المكان يسيء الى كرامتي قليلاً. لا خوف عليك مني، كما تعلمين، فأنا لن المسك ثانية الاّ اذا رغبت في ذلك.
- ليس هذا سبب. . .
بترت عبارتها ثم همست وهي تخفي وجهها بيديها:
- اوه، ارجوك. الا يمكننا ان ننسى الذي حصل؟
- وأي جزء منه تريدين ان تنسي؟ الطريقة التي تجاوبت بها ام طريقة اندعارك وانسحابك؟
- اريد نسيان الحادثة برمتها.

ـ لا اظنني أستطيع ذلك أو ارغب فيه.

ـ لكن. . . لكن.

ثم تابعت بازدراء:

ـ اوه، لا احسبك ستقول ان الأمر عنى لك شيئاً.

عاد يرمقها بشفقة ثم اكمل شرب قهوته ووضع الفنجان على الطاولة. سألها فجأة:

ـ من فعل بك ذلك؟

ـ فعل ماذا؟

ـ جرح مشاعرك. أغلب الظن ان رجلاً ما قد اعطبك عاطفياً.

اذعرها تخمينه الصائب فحاولت اخفاء رعبها بالرد عليه بعنف:

ـ اسمع يا سنيور «فلان الفلاني»، لا يجب ان تفترض وجود علة في امرأة معينة لمجرد انك لم تحصل على مبتغاك منها لأول مرة في حياتك. انت مخطىء في افتراضك، فأنا لا اشكو اية علة، وكل ما في الأمر انني لا احب ان يعبث بي اي رجل تلقيه الصدف في طريقي.

لم يقل شيئاً، انما استمر يحدق اليها حتى عجزت سوريل عن احتمال تلك النظرة الثابتة التي كانت خليطاً من الشفقة والارتياب، فاشاحت عنه بصرخة ضيق قصيرة وراحت تنظر من النافذة الى تلال الثلج الملساء والمتوهجة تحت اشعة الشمس.

ثم استدارت فجأة وواجهته قائلة:

ـ اريد الذهاب لأنني قلقة على السنيور انهل اذ لا بد انه منشغل البال علي. حاول ان تفهم ذلك. ارجوك ثق. . . ان ذهابي لا علاقة له بتاتاً بما حصل.

ـ ربما انا اتفهم الوضع اكثر مما تظنين. فمن الجائز ان يقرر مخدومك بانك رفيقة غير صالحة لابنتيه عندما يعلم بانك قضيت الليل بمفردك مع رجل غريب في كوخ.

وهنا مال فمه بانحناءة ساخرة فقالت سوريل باصرار مخلص:

ـ لقد عاملني بعطف ورعاية ولذا لا أريد ان اسبب له قلقاً زائداً لا لزوم له.

ثم انتابها ضيق مفاجىء اذ اقرت بان الرجل قد يكون مصيباً. فمن

الجائز ان يعترض رامون انهل على قضائها الليل خارج البيت. . . اردفت:

ـ ارجو ان يتفهم تبريري عندما اشرح له كيف ان العاصفة الثلجية ارغمتني على البقاء هنا.

ـ سوف تخبرينه الحقيقة اذن؟

ـ بالطبع، على الاقل ما هو ضروري.

ـ اتمنى لك التوفيق. حسناً، لنستعد للذهاب. الطقس جيد هذا الصباح ومن المفروض ان يكون التزلج سهلاً. دعينا نستمتع به معاً. هل توافقين؟

وحالما خرجا من الكوخ لسع الهواء البارد وجنتيها وبدا انه يمزق منخريها وسقف حلقها كلما تنفسته.

كان الثلج الناعم يحدث صريراً تحت زحافتيها حين ارتقت المنحدر الكائن خلف الملجأ وهي تدوس على الزحافتين المتوازيتين جانبياً وصعوداً وتغرز العمودين في الطبقات البيضاء الكثيفة. توقفت مراراً لتلتقط انفاسها ولتنظر حولها الى جمال الجبال المتوهج البارد، وفي كل مرة، كان الرجل المدعو دومينغو والذي يعلو مكانها على المنحدر، يتوقف ايضاً وينتظرها، ليبدو كظل اسود على منحنى ابيض، فيما نظارتاه الكبيرتان تخفيان عينيه وشعره الاسود يرفعه النسيم الخفيف. وجدته ينتظرها على قمة المنحدر حين وصلتها لاهثة نافخة، وقال:

ـ هنا تقاطع دربانا يوم امس.

ثم اشار الى منحدر بعيد يقع الى يمينها وتابع:

ـ كان يجب ان تسلكيه بدل ان تتبعيني، انظري، ان برج المصعد الكهربائي الاعلى يظهر قسم منه على متن المنحدر، ولولا تساقط الثلج لاستطعت ان تريه وتتزلجي في اتجاهه.

رمقها بنظرة جانبية واردف متعمداً:

ـ ولما كنا التقينا ابداً.

هل يلمح الى ان لقاءهما احدث في نفسه اثراً؟ كان كلاهما قد ازاح نظارتيه الى فوق، وعندما التقت عيونهما وتشابكت احست للحظة بتجاوب فرح عنيف مع الدعوة المتوهجة في حدقتيه. بيد انها اشاحت عنه فوراً وهي

ترفع ذقنها وتقلص شفتيها.
اعادت نظارتيها الى عينيها ثم قبضت على عمودي التزلج استعداداً للانطلاق وقالت بجمود:
- احسبني سأستطيع ايجاد طريقي من هنا. لا تكلف نفسك عناء مرافقتي.
انطلقت فوراً فلحق بها وما هي الا لحظات حتى ادركها، فاضطرت الى الاقرار الضمني بسرورها لوجوده معها ومشاركته اياها بهجة الانزلاق على ناحية الجبل في ذلك الصباح المشمس الصافي. وهذا لا يعني انها استطاعت التزلج بدون ان تسقط بضع مرات، لكن لدى سقوطها كان يعود لمساعدتها، وللضحك معها وليس عليها، ولينفض الثلج عن ثيابها ويزودها بالارشادات اللازمة لتفادي السقوط. واخيراً بلغا قمة المنحدر.
كانت هناك مجموعة متزلجين قرب البرج الأعلى تتحلق حول رجل يرتدي سترة تزلج حمراء، تمثل اللباس الموحد لأدلاء الجبال، وجميعهم خبراء في التزلج، ويستخدمهم مركز التزلج في البحث عن المفقودين والضائعين.
توقف دومينغو وحدق الى المجموعة وما لبثت سوريل ان لحقت به وتوقفت قربه. أزاح نظارتيه ونظر اليها قائلاً بجفاف:
- الآن، سادعك تذهبين بمفردك.
ادركت لحظتها كم هي مدينة له، ربما بحياتها نفسها، فقالت باندفاع:
- اشكرك على... مجيئك معي وعلى انقاذي مساء امس.
- لا موجب للشكر، كان ذلك مدعاة لسروري يا سنيوريتا.
أشاح بصره عن مجموعة المتزلجين وأعاد نظارتيه الى مكانها وشرع يقول:
- اتمنى فقط...
توقف ناظراً الى الناس ثانية ثم استدار اليها وقال بسرعة:
- سوريل، اصغي الي. اذا واجهت مصاعب مع مخدومك فهل لك ان تعلميني بذلك؟
- وكيف أفعل وانا اجهل اسمك الثاني ومكان اقامتك؟
- قد تعرفين ذلك قريباً وبأسرع مما تظنين.
التوى فمه بوجوم وهو ينظر من فوق رأسها الى الناس المتجمهرين، وفي

تلك اللحظة شق الفضاء صوت انثوي عال وحاد راح يهتف:
- سوريل! سوريل!
انه صوت غابرييلا يزعق مبتهجاً ولا يمكن ان يكون صوت انسان آخر.
تلفتت سوريل حولها فرأت الجسم البرتقالي ينسلخ عن جمهور المتزلجين ويتهادى نحوها عبر الثلج. وهتفت الفتاة حالما وصلتها:
- اوه، سوريل. لقد قلقنا جداً عليك! اين كنت؟ ومن الشخص الذي جاء معك؟
نظرت سوريل ثانية الى ما حولها. لقد ذهب دومينغو وكان يشق طريقه بسرعة على المنحدر في اتجاه الفندق. حدقت خلفه تتأمل رشاقته التزلجية، وعجبت لشعور الخيبة الذي طعنها بحدة لكونه تركها من دون ان يودعها. وفي اللحظة التالية حاولت خنق هذا الشعور. لماذا تهتم للأمر؟ يجب ان تكون مسرورة لانه تركها واتاح لها ان تشرح الوضع بدون وجوده الذي قد يصعّب التفسير. استدارت الى غابرييلا وسرعان ما وجدت نفسها محاطة بجمهور المتزلجين، وجميعهم يمطرونها باسئلة منفعلة بالاسبانية:
- ماذا حصل؟ اين كنت طيلة الليل؟
اما وجه رامون انهل الضيق الشاحب فكان جامداً وصارماً.
وبدأت تشرح له قائلة:
- لقد سقطت ولم ترني.
لكن الناس بدأوا ايضاً يتكلمون دفعة واحدة فاستحال عليها ان تتابع كلامها. اطلق رامون هتاف انزعاج، وقال بالانكليزية رافعاً صوته ليطغى على هرج الناس الانفعالي:
- لا يمكننا التحدث هنا. سأطلب من الدليل ان يوقف عمليات البحث. ثم ننزل الى الفندق. اعتقد انك سترحبين بتناول الافطار.
اومأت برأسها، وفي خلال ثلث ساعة كانت تجلس في مقهى الفندق الدافىء تشرح لرامون ولابنته كيف انها تاهت في العاصفة الثلجية فيما النادل يقدم لها الطعام. وسألها رامون:
- متى ادركت انك سلكت الاتجاه الغلط؟
- عندما رأيت صف الاشجار والضوء المنبعث من النافذة. كان الثلج يندف بغزارة وسرني ان اجد ملجأ يحميني.

فاستوضحها بحدة وارتياب:
- اين كان الملجأ؟
- الى الجنوب من هنا وعلى بعد عشرة كيلومترات تقريباً.
فقالت غابرييلا بحماسة وهي تحاول المساعدة:
- اعرف. انه الملجأ الذي قضينا فيه ليلة مع... اوه، لورا، لماذا ركلت قدمي؟
وعاد رامون يسأل سوريل:
- اكان معك شخص آخر هناك؟
- اجل، رجل احتمى ايضاً من العاصفة. لم يكن لي خيار الآ ان ابقى هناك فما كان بوسعي ابداً ايجاد طريقي الى الفندق تحت انهمار الثلج. آمل ان تتفهم وضعي.
كانت تتكلم باسترحام واحست بوخزة اضطراب لما رأت الشك يغزو عينيه مجدداً.
وقالت غابرييلا بصوت كالصفير:
- الرجل الذي كان معك عندما رأيتك؟
- اجل، جاء معي هذا الصباح ليدلني الى طريق الفندق.
فاستوضحها رامون:
- اين هو الآن؟ لماذا لم يبق معك الى حين وجدتنا؟
- لا... لا أدري. لقد تركني حين نادتني غابرييلا.
تلفتت حولها ولديها نصف أمل بأن ترى الوجه المندّب تحت ريش الشعر الاسود الفاحم بين وجوه الناس الجالسين في المقهى. ثم انتبهت الى ان غابرييلا ولورا كانتا تتهامسان في جدال عنيف. ووبخهما رامون بحدة:
- الا تكفان ابداً عن الشجار؟
فأجابته لورا:
- تقول غابرييلا انها تعرفت على الرجل الذي جاء مع سوريل. لا أدري كيف استطاعت ذلك لأنه كان يلبس نظارتيه.
فردت غابرييلا بحنق:
- بل عرفته من خلال بزته التزلجية.
استفسرها رامون:

- ومن هو بحسب اعتقادك؟
- خوان رينالدا.
والقت نظرة متحدية على وجه اختها الذي بدا تعيساً على حين غرة.
وهتف رامون:
- رينالدا؟ مصارع الثيران؟
اومأت غابرييلا بالايجاب. فقالت سوريل بلطف:
- اظنك مخطئة يا غابرييلا فقد اخبرني ان اسمه دومينغو.
فأكدت الفتاة بعناد:
- انه «الشجاع» انا متأكدة انه هو الذي كان معك.
سألها ابوها بحدة:
- وكيف توصلت الى معرفة «الشجاع» الى درجة مكنتك من تمييزه من مسافة بعيدة؟ فتبعاً لمعلوماتي، لا اذكر انك حضرت اية مصارعة الآ اذا كنت حضرت واحدة من دون علمي. هل فعلت؟ وانت يا لورا؟
التفتت البنتان بضيق الى بعضهما البعض. ثم قالت لورا بتردد بطيء:
- اجل، فعلنا ذلك مرة واحدة، في شهر كانون الاول (ديسمبر) من السنة الماضية، وخلال مهرجان اقيم في كوبايا.
- اكانت امكما معكما؟
- نعم، سنيور.
بدا الخوف على لورا فتابع رامون استجوابه قائلاً:
- ورأيتن رينالدا هناك؟
- اجل.
فقال رامون مفكراً:
- كان ذلك قبل المصارعة في مانيسالاس حيث اصابه الثور بجرح بالغ.
ثم رمق لورا بنظرة حادة اخرى وتابع يسألها:
- من دعاكما وامكما الى حضور المصارعة؟
- الخالة ايزابيلا، فأخ زوجها هو دييغو كورتيس متعهد مباريات المهرجانات.
لم تقدر غابرييلا ان تصمت طويلاً، فاندفعت تقول:
- كانت الحفلة مثيرة جداً، ولدى انتهاء المصارعة تقدم «الشجاع»

واتحق امام المقصورة التي كنا نجلس فيها مع السنيور كورتيس، وبعد ذلك عرفنا اليه.

فسألها رامون:

- وهل كان يرتدي بزة التزلج آنذاك؟

طربت غابريلا لسخرية ابيها فقهقهت بعصبية وقالت:

- بالطبع لا. كان يرتدي لباس مصارع الثيران! سترة رائعة مطرزة بأكملها بالستراس الاحمر والاسود. بدا وقتها وسيماً جداً، وما يزال وسيماً لولا الندبة الطويلة على جانب وجهه الأيمن حيث نهشه الثور.

كادت سوريل ان تختنق بطعامها. فعاد رامون يحدجها بارتياب وحدة. ثم استدار الى غابريلا وقال بنفاد صبر ظاهر:

- لكن حصولك على الامتياز السخيف لرؤية رينالدا يصارع في الحلبة حاملاً الوشاح الاحمر لا يفسر معرفتك لنوع بزة التزلج التي يرتديها.

- عرفت ذلك لاني رأيته هذا الصباح عن قرب وفي هذا المقهى بالذات. اليس كذلك يا لورا؟ لقد رأيناه هنا مراراً حين كنا نأتي مع ماما، واضطررنا في احدى المرات الى الاحتماء واياه مع اناس آخرين في الملجأ ذاته حيث قضت سوريل الليلة الفائتة.

فنظر رامون الى سوريل بقسوة وعيناه تلتمعان في وجهه الصارم وقال:

- اذن حلّ اللغز يتطلب فقط ان تسأل سوريل اذا كانت هناك ندبة على خد الرجل الذي شاركها اللجوء الى الكوخ.

فسألتها غابريلا وبدون ان تعي مبلغ احداثها للمشاكل:

- سوريل، هل رأيت على وجهه ندبة تمتد من هنا الى هنا؟

ورسمت باصبعها منعطفاً بدأته من تحت اذنها اليمنى وحتى زاوية فمها، وتابعت:

- وهل كان طويلاً، اسود الشعر وذا عينين رماديتين فاتحتين؟ وهل ابتسم هكذا؟

اكتفت سوريل بايماءة ايجابية لعجزها عن النطق فصفقت غابريلا بانتصار وقالت مبتهجة:

- الم اقل لك هذا يا لورا؟ كنت على حق! على حق!

فسألته لورا والقلق الشديد يبدو عليها جلياً:

- اذن لماذا اخبر سوريل ان اسمه دومينغو؟

فقال رامون مستوضحاً سوريل:

- هذا سؤال وجيه. لماذا فعل ذلك يا آنسة برستون؟

ارعبتها حدة صوته البارد ورسميته المفاجئة، كما لو انه اكتشف لتوه انها اقترفت خطيئة ما، وبالتالي انقلب ضدها. اجابته:

- لا ادري السبب، اعتقد انه لم يشأ ان يدعني اعرف هويته.

ازاح كرسيه الى خلف ونهض واقفاً ثم علّق ناظراً اليها بغضب:

- هل تريدينني ان اصدق ان هناك مصارع ثيران يصل الى هذا الحد من التواضع وانعدام الغرور؟ لا يمكنني والله ان اصدق ذلك. فالذي اعرفه عن رينالدا انه اكثر المصارعين غروراً، ولا عجب، فهو في نظر معجبيه بطل شعبي اصيل، ولد هنا في كولومبيا ولم يُستورد من اسبانيا او المكسيك. انه، كمعظم فصيلة المصارعين، رجل استعراض وتفاخر حتى رؤوس اصابعه!

رمقها بنظرة عدائية مستعرة واردف:

- هناك سبب آخر يحدوك الى تسميته بهذا الاسم دومينغو، وأنا عازم على اكتشاف السبب.

ثم استدار الى ابنتيه وقال لهما عمداً:

- اذهبا واجمعا حوائجكما. سوف نعود فوراً الى ميدلين.

فاحتجت لورا بقولها:

- لكن الظهر لم يحن بعد والطقس ممتاز للتزلج.

وهتفت غابريلا ثائرة وعيناها تطفحان بالدموع:

- لا اريد العودة الى البيت بهذه السرعة.

اما سوريل فبدأت تقول:

- سنيور انهل، لم يخطر لي ابداً...

فقال لهن بنزق:

- اصمتن جميعاً! لن اسمح لأي منكما بالمجيء هنا مرة اخرى! لا يمكنني السماح لبناتي بالاختلاط مع مصارعي ثيران واناس على شاكلتهم. والآن، اذهبا واجمعا اغراضكما...

رحلة الاياب كانت مزعجة بالمقارنة مع رحلة الذهاب الى مركز التزلج،

فلورا وغابرييلا جلستا في صمت حرد، فيما بدا رامون متغطرساً ومنعزلاً خلف مقود السيارة وقد استطاع ان يعبّر عن استيائه وغضبه من ابنتيه ومن سوريل من خلال قيادته المجنونة حول المنعطفات ومسابقته لكل السيارات بتزمير عال يصم الآذان.

صمت رفاقها جعل سوريل تنعزل مع افكارها الخاصة وهي تجلس في زاوية المقعد الخلفي تراقب اشكال التلال البعيدة القاتمة والمحنية الظهر في الافق الغربي المشمس وقد بدت انها تتحرك وتغيّر اشكالها الى نماذج جديدة تبعاً لانعطاف الطريق حولها.

مصارع ثيران! كان يجب ان تحزر مهنته من خلال مشيته الرشيقة المختالة او من خلال الطريقة التي راقبها بها كما لو انه يراقب وينتظر ثوراً يتقدم الى منتصف الحلبة، او من خلال الندبة على خده وحيث بدا ان اللحم قد مزقه قرن حيوان هائج. . . الآن، وقد عرفت، فمن السهل ان تتصوره مرتدياً القبعة السوداء المثلثة. السترة القصيرة البراقة، السروال اللاصق بالجسم، الجوربين الزهريين والحذائين الاسودين وهو يغري الثور ويخدعه بهزة من وشاحه الصوفي الاحمر.

ارتعدت قليلاً. فهي لم تشاهد مصارعة ثيران واحدة وما رغبت ابداً في مراقبة رجل يواجه ثوراً ثائراً ويشتبك معه في معركة مميتة. لقد اعتبرتها دائماً عملية استعراض قاسية للحيوانات، ولغاية الآن لم يخطر لها اطلاقاً انها قد تكون قاسية ايضاً على المصارعين انفسهم.

ولكن لماذا حجب عنها اسمه؟ لماذا كذب عليها؟ ولِمَ ارتاب رامون انهل الى هذا الحد في اتصالها العابر بمصارع الثيران؟ ما الذي ينفره منهم ويجعله يرفض ارسال ابنتيه الى اي مكان قد تلتقيان فيه بواحد منهم؟

وما ان اوقف السيارة خارج المدخل الامامي المزين بالاعمدة حتى ظهرت امرأة على رأس الدرج كانت نحيلة، صغيرة الحجم، سوداء الشعر وترتدي فستاناً انيقاً من حرير الجيرسيه لونه ابيض واسود.

هبطت الدرج صوبهم فحياها رامون قائلا بدفء:

ـ آه، ايزابيلا، يسرني ان اراك. هل جئت لتؤنسي مونيكا؟

ابتسمت له بعينيها البنيتين الغامقتين، والغائرتين قليلاً تحت حاجبين مقوسين دقيقتين قبل ان ترمق سوريل، المترجلة من السيارة، بنظرة فضولية

جانبية. اجابت:

ـ نعم، لقد خابرتني بالتلفون وقالت انها تشعر بالوحدة في غيابكم وارسلت بيدرو ليأتي بي؛ لم تتوقع ان تبكروا في العودة الى هذا الحد، فما السبب؟

ـ حدث شيء. تعالي الى الداخل لاطلعك عليه.

احاط كتفها بذراعه وقادها على الدرج الى داخل البيت.

فقالت غابرييلا وهي تنظر خلفها عابسة:

ـ انا لا افهم، لماذا بابا غاضب الى هذا الحد؟

فردت لورا متذمرة وهي تساعد سوريل على انزال الزحافات من على سقف السيارة:

ـ لأنك لم تكفي عن الحديث عن خوان رينالدا. لماذا لا تستطيعين اقفال فمك مرة في العمر؟

ـ لم افعل شيئاً سوى التعريف عنه. اي خطأ في ذلك؟

ـ اخطأت في كل شيء وكان من الافضل لو بقيت صامتة، فبابا سيؤنب الخالة ايزابيلا لكونها باعتنا البطاقات لحضور تلك المصارعة، وماما ستواجه مشاكل لأنها اخذتنا اليها بدون اذنه. اما نحن فسوف نحرم من التزلج في المستقبل.

ـ لكني لا افهم السبب. اي خطأ هناك في حضور مصارعة ثيران او في التعرف الى مصارع؟

ـ انه تصرف خاطىء بالنسبة الى بابا، فهو يقول ان مصارعة الثيران ما هي الا استعراضات وحشية مشينة ويجب ان تحرم قانونياً.

ـ لا اعتقد انها كذلك بل اجدها مثيرة ودراماتيكية و. . .

لكن لورا تابعت بصوت طغى على صوت اختها:

ـ ويقول بابا ان المصارعين رجال خشنون وبلا مبادىء خلقية وان من كان في مركزنا الاجتماعي فلا يجب ان يختلط بهم.

ـ يا لهذا الهراء! في رأيي انهم رجال فائقو الشجاعة، واعتقد ان الثيران شجاعة ايضاً. كذلك اعتقد ان خوان رينالدا هو اشجع الشجعان بالرغم من انه بلا. . . كيف عبّرت عن ذلك قبل قليل؟

ـ بلا مبادىء خلقية. اوه، غابرييلا، لا تقولي انك تجهلين معنى ذلك!

- بل اعرف ماذا يعني لكن لا يهمني ان كان رينالدا من هذا النوع. سأروي لماما ما حصل معنا، تعالي معي يا سوريل فانا اكيدة ان ماما تحب ان تسمع تفاصيل المغامرة.

- سأفعل حالما أبدل ملابسي. علي ان اعيد اليها بزة التزلج.

اغتسلت سوريل وارتدت فستاناً اخضر من الكتان ذا ياقة مستديرة بسيطة زينتها بايشارب حريري مزركش ودخلت الغرفة الفسيحة المشمسة في الطابق الارضي والتي حُولت الى غرفة نوم وجلوس للسيدة المقعدة. وجدت مونيكا تجلس كعادتها على الكرسي المتحرك الذي اعتادت الطواف به في ارجاء البيت، وبقربها غابرييلا تجلس على كرسي منخفض وتثرثر بلا هوادة. وقالت سوريل لمونيكا:

- اشكرك لكونك اعرتني البزة. لقد ناسبت جسمي تماماً. هل أضعها في الخزانة؟

فابتسمت لها عبر الغرفة واجابت:

- نعم، من فضلك.

كانت مونيكا شقراء الشعر تعقصه على قمة رأسها، ذات وجه مستدير دقيق التكوين وعينين زرقاوين غامقتين. زارت كولومبيا لاول مرة في سن الثامنة عشرة، وكانت برفقة ابيها الذي رئس آنذاك بعثة تجارية بريطانية، وقد التقت رامون حين زارت مهرجان النسيج والزهور في ميدلين، وبعد خطوبة قصيرة تم زواجهما. الآن بلغت الرابعة والثلاثين من عمرها وما تزال تحتفظ بقسط من جمال الشباب مع انها تمر في حالات اكتئاب تهدل فمها وتحفر خطاً عميقاً بين حاجبيها الجذابين.

وقالت تثرثر كغابرييلا الى حد ما:

- هل استمتعت بالتزلج يا سوريل؟ أليست الجبال رائعة؟ اوه، كم كنت شغوفة بالتزلج وكم اتمنى ان امارسه ثانية.

اهتز صوتها قليلا وارتجفت شفتاها لكنها حاولت الابتسام مجدداً واردفت:

- تعالي، اجلسي هنا وخبريني عن الرحلة. غابرييلا، اذهبي الآن وغيّري ثياب التزلج.

قفزت الفتاة واقفة وعانقت امها بحرارة ثم غادرت الغرفة تاركة الباب

مشقوقاً.

انحنت مونيكا الى الامام قليلاً وقالت وعيناها الزرقاوان تتألقان اهتماماً:

- اخبرتني غابرييلا انك قضيت الليل مع رجل في الملجأ. كانت تقول لحظة دخولك ان لديها فكرة عن هوية الرجل. هل كان خوان رينالدا بالفعل؟

- من الجائز ان يكون هو لكنه لم يقل لي ذلك.

عادت مونيكا الى خلف وعيناها تبرقان ثم اومأت وكأنها فهمت السبب الذي جعل الرجل يخفي هويته. سألت:

- كيف شكله؟

وصفته سوريل باختصار فاصغت اليها مونيكا بدقة ثم اومأت ثانية وقالت بصوت لاهث:

- انه خوان. هل ذكرت له شيئاً عن نفسك او عنا نحن؟

- اجل، فعلت.

فعادت مونيكا تميل الى الامام وسألتها بلهفة:

- وماذا قال؟ هل علّق بشيء ما؟ خبريني يا سوريل، هل بلّغك رسالة لتوصليها الي؟

اسكتتها الدهشة لبضع لحظات. وحين همت بالقول ان خوان رينالدا لم يظهر اهتماماً كبيراً لدى سماعه اسم مونيكا، احست شعر عنقها يقف حذراً، فاستدارت تنظر صوب الباب وهي متأكدة من وجود شخص يسترق السمع خلفه مباشرة.

وسألتها مونيكا بالحاح:

- ماذا قال يا سوريل؟ ما بك، لم لا تريدين اخباري؟

- هناك شخص خلف الباب يستمع الى حديثنا.

فنادت مونيكا بشيء من نفاد الصبر:

- غابرييلا؟ أأنت هناك؟

- لا، هذه انا.

انفتح الباب ودخلت ايزابيلا كورتيس الغرفة وتابعت تقول:

- الديكما مانع من دخولي ام انكما تتبادلان الاسرار من جديد؟

- كلا، كلا، انا وسوريل لا نتبادل الاسرار، اننا نتحدث عن اشياء كثيرة لكوننا من بلد واحد ونتكلم اللغة نفسها. كانت تروي لي كيف اعتقلتها العاصفة الثلجية على الجبل يوم امس وضيّعت طريقها الى الفندق.

تقدمت ايزابيلا اكثر وقالت لسوريل باهتمام ظاهر:

- لا ريب انها كانت تجربة مخيفة وكان من الجائز ان تضيعي الى الأبد. اعتذر عن مقاطعتي لحديثكما لكن هناك شيء يجب ان اطلعك عليه يا مونيكا قبل انصرافي. انه امر مهم جداً وله علاقة بما حدث امس على الجبل.

وفكرت سوريل، ان لايزابيلا اسلوباً هادئاً حيياً في الكلام يجعل الشخص الذي تخاطبه يشعر دائماً بأنها تهتم بمصالحه اشد الاهتمام ولا تتوانى عن فعل اي شيء كفيل بمساعدته! نهضت واقفة وقالت بتهذيب:

- سأترككما تتحدثان على انفراد واستأذن بالانصراف.

فنادت مونيكا وهي تخرج:

- عودي في وقت لاحق يا سوريل فانا احتاج الى بعض التدليك قبل ان آوي الى فراشي ليلاً. لقد افتقدت رعايتك كثيراً هذين اليومين. لا تنسي ان تأتي.

- لن انسى.

اما ايزابيلا ففتحت لها الباب لتخرج، وربما لتغلقه بنفسها وتتأكد من انغلاقه قبل ان تبدأ حديثها مع مونيكا، وغمغمت بألطف ابتسامة وارقها:

- كم انت متفهمة يا سوريل.

خرجت سوريل الى الممر وعبرته الى الحديقة سارت على الدروب المتعرجة المحفوفة بشجيرات، واخذت تفكر في ايزابيلا. كانت تعلم انها ارملة اوريليو كورتيس الذي اختص في تطوير الرياضة والذي قتل قبل ثلاث سنوات في حادث تحطم طائرة على جبال الأنديز. ومنذ ذلك الحين بدأت ايزابيلا تتردد بكثرة على منزل آل اتهل حتى اصبحت صديقة مقربة من مونيكا. ولكن في اثناء اقامة سوريل مع العائلة لاحظت ان المرأة تصرف وقتاً في التحدث مع رامون في مكتبه هو مماثل تقريباً للوقت الذي تصرفه مع زوجته. هل من الجائز ان ايزابيلا كانت سبب الشقاق الحاصل

بين الزوجين؟ تنهدت سوريل متضايقة من منحى افكارها المتطرف، فهذه الامور ليست من شأنها بتاتاً ولا يجب ان تتورط اطلاقاً بمشكلات اية مريضة تعالجها، بل ان تلتزم حدودها المهنية.

الا انها كانت تشعر احياناً بالشفقة على مونيكا وبرغبة في مساعدتها. ابتسمت بمرارة اذ تذكرت ان هذه الشفقة نفسها هي التي ورطتها مع مارتن... كان يتعالج اذ ذاك في مستشفى بلدتها حيث تدربت وعملت كمدلكة بدنية مختصة. لقد ساعدته هو الآخر على تعلم المشي من جديد وفي غضون ذلك وقعت في حبه او توهمت انها فعلت. لقد اصغت الى مشكلاته الزوجية واملت ان يفي بوعده بأن يحصل على الطلاق ليستطيع الزواج منها. ثم، في احد الايام، جاءت زوجته الى المستشفى واخذته معها الى البيت، وهكذا تحوّل كل حبها السابق له الى... قرف.

وهنا هتفت شيئاً عبّر عن ضيق صدرها ثم استدارت على عقبيها وقطعت الدرب بخطوات ثابتة عائدة الى البيت. وفيما هي على منتصف الدرج سمعت رامون يناديها من البهو مستوقفاً ويقول:

- اريد التحدث اليك. تعالي الى غرفة مكتبي من فضلك.

- نعم، سنيور.

عادت تهبط الدرج وتبعته الى الغرفة المرصوفة بالكتب وحيث يقضي معظم وقته خلال وجوده في البيت. وحين اشعل المصباح الكهربائي على طاولة المكتب واضاء وجهه الطويل الضيق، فكرت في نفسها، انها غرفة قاتمة صارمة تشبه صاحبها الى حد كبير... قال لها:

- اجلسي.

بدا منفعلاً جداً بسبب امر ما، لكنه توقف اخيراً قبالتها وقال بانكليزية دقيقة:

- لقد قررت ان بقاءك هنا قد بات مستحيلاً. اريدك ان تغادري البيت غداً صباحاً.

- ولكن لماذا؟ اي خطأ ارتكبت؟ اوه، انك غير راض لأن زوجتك لا تتحسن ظاهرياً لكن ترويض المفاصل المشلولة على الحركة يستغرق وقتاً اطول...

فقاطعها قائلاً:

ـ تقدّم زوجتي او عدمه لا علاقة له بفصلك من خدمتي. بالطبع سأدفع لك ثمن تذكرة الاياب الى انكلترا كما سأدفع لك الراتب حتى نهاية هذا الشهر. هذا كل ما لدي من كلام ويمكنك الآن ان تنصرفي.

فهبت واقفة على قدميها واخذ قلبها يخفق منفعلاً حين اجتاحها رد فعل غاضب على معاملته المتغطرسة هذه، وهتفت حانقة:

ـ ليس هذا كل ما لديك من كلام! فبوسعك ان تعلمني سبب فصلك لي من الخدمة، ومن حقي ان اعرفه!

بدأت عصبيته تثور هو الآخر فتقلص فمه والتمعت عيناه وهو يجيبها:

ـ لست مضطراً لأن اشرح لك مطلق شيء فأنا سيد هذا البيت وصاحب الكلمة الاخيرة فيه.

تنفس بعمق وسار الى النافذة بخطوات واسعة حيث ازاح الستائر الثقيلة المطرزة، وتابع قائلاً:

ـ صدقيني بأني اقدم على هذا بأسف كبير لأنك جئت الينا بأفضل التوصيات، سواء من المستشفى حيث كنت تعملين او من والدة مونيكا التي هي أيضاً صديقة لامك، كما علمت. لقد بذلت جهوداً كبيرة في مساعدة مونيكا، وانا ممتن جداً لذلك، انما لا استطيع المجازفة بتكرار الحادثة.

ـ تجازف بتكرار اية حادثة؟

رمقها بنظرة عصبية وعاد يذرع ارض الغرفة ثم توقف فجأة امامها واتهمها قائلاً:

ـ اذن انت تتظاهرين بجهلك لكامل العلاقة! تصرفك هذا لا يدهشني لانه ينسجم مع كذبتك بخصوص هوية الرجل الذي قضيت وإياه ليلة في الملجأ.

ارتفع ما فيها من دم لأثيني قليل الى درجة الغليان واجابت بحرارة:

ـ لم اكذب. ألهذا السبب تريد فصلي؟ الاعتقادك بأني كذبت عليك؟

ـ نعم. لقد اتضح لي ايضاً انك لست اهلاً للثقة وانك متورطة مع زوجتي في مؤامرة.

وسألت وهي لا تصدق اذنيها:

ـ اية مؤامرة؟

ثم ضحكت فجأة واردفت:

ـ اوه، ممن سمعت ذلك؟

ـ لم اكن بحاجة الى معلومات احد، فانا ادرك تماماً ان زوجتي ائتمنتك على اسرارها. وكان يجب ان اتكهن بحصول الأمر حين طلبت الي ان آتيها بدلكة من انكلترا، بشخص اكثر عطفاً وتفهماً، على حد تعبيرها!

ثم هتف غاضباً:

ـ يا الهي! كيف قدرت مونيكا ان تخدعني طوال هذا الوقت!

قالت سوريل ببرود وقد استردت هدوءها:

ـ ليست لدي اقل فكرة عما تتكلم. لكنني لم اكذب عليك بخصوص ذلك الرجل. كنت اجهل هويته، وهو رفض التعريف عن نفسه، واصر على ان اسميه دومينغو. ولو ان غابرييلا لم تكشف هويته لما عرف احدنا بشيء.

ـ ولهذا السبب بالذات لا استطيع المجازفة بان تُرسلي لملاقاته ثانية.

ـ لكن لا احد ارسلني لملاقاته، اللقاء حصل عرضاً. لقد اخبرتك انني ضللت الطريق و. . .

فقاطعها قائلاً بمرارة:

ـ وهو وجدك على اهون سبيل، اذ كنت ترتدين بزة مونيكا التزلجية وهكذا رأى فيك شيئاً يرتبط بها.

شهقت سوريل وغطت فمها بيدها اذ تذكرت قول الرجل انه حسبها امرأة كان يعرفها. وتابع رامون قائلاً:

ـ اوه، كانت خطة متقنة. . . لقد رآنا مجتمعين في المقهى فلحق بنا الى قمة الجبل، وعندما شاهدك تسقطين، استعان باغرائه وجعلك تقصدين الكوخ. ليس هناك من هو اقدر على الاغراء من رينالدا! انه خبير في الثيران وفي النساء، وما عليك الاّ ان تسألي اي متتبع لهذا النوع من المصارعة ليؤكد لك هذه الحقيقة!

ـ ليتني افهم السبب وراء هذه الجلبة. . . فزوجتك سألتني اذا كان الرجل قد حمّلني رسالة اليها، وها انت. . .

فهتف رامون بانتصار:

ـ اذن كنت مصيباً. . لقد استعملوك فعلاً!

ادركت انها اخطأت في ذكر الرسالة، فسألته بقلق:

ـ من استعملني؟

ـ زوجتي وريناالدا.

حدّقت اليه بخيبة اذ وعت انه قد يكون محقاً. فمن الجائز انها قد استُعملت كوسيط بغير ان تدري. سألته:

ـ ولكن لماذا؟ ارجوك ان تخبرني السبب. من حقي ان اعرف.

فأجاب بصوت جامد:

ـ لا استطيع ذلك انها قضية تمس شرفي.

مبدأ الشرف الاسباني الذي ما زال بعض الرجال الكولومبيين يحافظ عليه! انها تعلم عنه ما يكفي لجعلها تدرك ان رامون لن يبوح لها بأي شيء. اشار الى المكتب وقال:

ـ انه هنا، وصل مالي باسمك، والمبلغ يغطي نفقات عودتك الى وطنك وبقية راتبك. خذيه من فضلك. غداً صباحاً سيأخذك بيدرو الى المطار، ورجاء ان تستقلي اول طائرة الى انكلترا.

التقطت الوصل ولم تجد اية جدوى من رفضه. فحتى لو لم ترجع الى وطنها ستظل في حاجة الى المال. قالت:

ـ حسناً، سأذهب لأنه ليس هناك شيء استطيع فعله كي اثبت لك انني لم اتآمر مع زوجتك ولم اقم بدور الوسيط بينها وبين ريناالدا! اعتقد انك سخيف جداً!

سألها بصوت اجش وقد اتقدت عيناه وجن جنونه:

ـ اتجرؤين على انتقادي؟

ـ اجل، اجرؤ، فانا لا ارتعب منك كما هو الحال مع زوجتك وابنتيك، ولذا اجرؤ على نعتك بالسخافة لانك لا ترى ابعد من انفك الاسباني المتكبر! لا ترى ان زوجتك تحبك ولا تحب سواك. تصبح على خير يا سنيور.

٣ ـ مهمة فاشلة



تناولت سوريل عشاءها كالعادة مع لورا وغابرييلا في غرفة الطعام الصغيرة القريبة من المطبخ وحين استأذنت سوريل بالانصراف قبيل انتهاء العشاء قائلة انها تريد رؤية السنيورا اتهل ، التفتت اليها مديرة المنزل التي كانت تجمع الأطباق عن الطاولة وقالت بسرعة :

ـ السنيورا ليست على ما يرام . لقد آوت باكراً الى فراشها وطلبت اليّ تبليغك أن لا تذهبي اليها .

فعادت سوريل الى غرفتها تصعد الدرج بتمهل وهي تشعر أنّ الخطوة الوحيدة التي تبقت لها قد سدّت الآن في وجهها . فهي ان لم تستطع أن تشكو لمونيكا الطريقة الظالمة التي طردها بها رامون ، فلمن تشكو امرها ؟

وهنا تذكرت عبارة الرجل الذي زعم أن اسمه دومينغو . . .

« اذا واجهت مصاعب مع مخدومك ، فهل لك أن تعلميني ؟ »

لا بد أنه كان يتوقع حصول مشكلة في حال اكتشف رامون هويته . اذن ، ألا يعني ذلك أنه ومونيكا استعملاها فعلاً كوسيط ؟ ولكن ، ما سبب حاجتهما الى وسيط ؟ شهقت بغضب حين اجابت سؤالها بنفسها . إن خوان رينالدا هو السبب وراء اهتزاز الزواج . لا بد أنه ومونيكا كانا على علاقة عاطفية قبل حادث السيارة ، ويحاولان الآن احياء تلك العلاقة . لهذا السبب ايضاً ، اقترحت عليها مونيكا أن تذهب للتزلج في نهاية الاسبوع لعلمها بأن خوان سيكون في مركز التزلج وسوف يمرر اليها رسالة ما .

لكن هناك حلقة مفقودة واحدة . فخوان لم يسلمها رسالة الى مونيكا ، بل لم يأت على ذكرها اطلاقاً ، وبدلاً من ذلك حاول جهده أن يبدأ علاقة معها هي بالذات .

آوت الى فراشها والأفكار تتصارع في ذهنها فقضت نصف الليل تتقلب ارقة وهي تحاول فك الخيوط المتشابكة التي تلفها . لكن ذلك مستحيل بدون مساعدة مونيكا ، وهكذا ظل الحل مستعصياً عليها عندما نامت اخيراً .

لم تستيقظ الا حين احست بيد تهز كتفها وبصوت مديرة المنزل يهتف بها :

ـ سنيوريتا ، سنيوريتا ، الوقت متأخر والسنيورا اتهل تريد رؤيتك فوراً !

استوت جالسة وأزاحت شعرها عن عينيها ثم سألت وهي تقفز من الفراش وترتدي روبها بسرعة :

ـ هل هي مريضة ؟

ـ كلا ، كلا ، انها متعبة فحسب . لم تذق طعم النوم ليلة امس .

ـ وهل السنيور اتهل في البيت ؟

ـ كلا ، ذهب الى مكتبه . لقد طلب ابلاغك ان بيدرو سيرافقك الى المطار بالسيارة عندما تستعدين للذهاب . يؤسفني كثيراً انك ستتركيننا فالسنيورا تحسنت كثيراً منذ مجيئك .

فابتسمت لها سوريل وقالت وهي تغادر الغرفة :

- شكراً ، لكنني لم ارحل بعد .

وجدت مونيكا في سريرها مستلقية على الوسائد الحريرية وهي تعبث بطعام الافطار . كان جفناها محمرين من البكاء هتفت بسرعة :

- اوه ، احمد الله انك هنا ! قال لي رامون انه سيطلب اليك الرحيل . توسلته الاّ يفعل لكنه رفض الاصغاء الي ، ونتيجة لذلك أرقت طوال الليل .

جلست سوريل على حافة السرير وسألتها :

- وهل تشعرين بعذاب الضمير؟

- اجل ، فأنا السبب وراء فصلك من الخدمة .

ثم اطلقت ضحكة واجفة قصيرة وأردفت :

- يعتقد رامون انني أرسلتك عمداً الى مركز التزلج كي تتصلي بخوان نيابة عني .

- الم تفعلي ذلك حقاً؟

- كلا ! اوه ، لقد أملت بشكل ما أن يكون خوان هناك وأن يقول شيئاً للورا أو لغابرييلا ، انما لم اخطط لأي شيء .

- لكنك سألتني ان كان خوان قد حملني رسالة اليك .

- فعلت ذلك لانك اخبرتني انك حدثته عني ، وحسبت ، لشدة غبائي ، انه سيهتم كفاية ليسأل عن صحتي .

وهنا ارتجف صوتها على رغم منها ، وأردفت :

- لكنه لم يفعل ، على ما يبدو .

- كلا ، لم يسأل ، بل لم يلمح اطلاقاً الى معرفته السابقة بك .

فتقلص وجه مونيكا كأنها اصيبت بطعنة سكين . استلقت على الوسائد وأغمضت عينيها ثم غمغمت :

- وتلك كانت رسالته على ما اعتقد . ما عاد يهتم بأمري بتاتاً . يا الهي ، كم كنت غبية حمقاء !

فتحت عينيها وقالت ناظرة الى الفتاة :

- والآن غطستك أنت ايضاً في ورطتي ! آسفة جداً يا سوريل . ليتني استطيع فعل أي شيء لمساعدتك .

- يمكنك اعلام زوجك انه مخطىء في حقي وانك لم ترسليني للاقاة

خوان .

- فعلت ذلك مراراً لكنه لا يصدقني . . . يعتقد انني خنته مع خوان .

- وهل خنته بالفعل ؟

فقالت متنهدة :

- كلا . ولا مرة واحدة بالفعل . لم تتح لي الفرصة ابداً ، انما بالنسبة الى ما هي عليه سمعة خوان أو ما كانت عليه ، فلن يصدق أحد هذه الحقيقة ابداً . . . رامون يعلم أنني ذهبت لرؤية خوان في مزرعته قرب ابيارا عندما تعطلت بي السيارة ، مع انني كنت اجهل معرفته الأمر ولغاية ليلة امس ، حين اخبرني قراره بفصلك وانه اذا لم اتوقف عن محاولتي رؤية خوان فسوف يذهب الى محاميه ليبحث معه الترتيبات اللازمة للطلاق .

- لمَ ذهبت الى رينالدا ؟ اي علاقة كانت بينكما ؟

- اوه ، كيف لي أن اشرح تلك العلاقة المعقدة ؟ كان هناك شيء ولم يكن هناك شيء في الوقت نفسه .

- الا تستطيعين ذكر الأجزاء المتعلقة بتورطي في الموضوع ؟ اعلم انك تعرفت اليه بعد حضورك احدى مصارعات الثيران ، وحيث عرفتك اليه صديقتك ايزابيلا ، اليس كذلك ؟

- صحيح ، وهي التي الحت علينا بحضور مصارعة في كوبايا ، لكنني لم اره ثانية ولمدة تسعة أشهر تقريباً بعد اصابته بجرح بالغ في مصارعة جرت في مانيسالاس ، اذ استغرقه الشفاء وقتاً طويلاً .

- وماذا حدث حين التقيته ثانية ؟

- وقعت في حبه ، على ما اظن .

استدارت سوريل تحدق اليها فتابعت تقول :

- اعلم أن هذا يبدو سخيفاً بالنسبة الى امرأة في سني ، انما لا يمكنك أن تتصوري مدى الضجر الذي كنت أعانيه آنذاك . فرامون كان دائماً مشغولاً ، بمصنع النسيج ، والبنتان في المدرسة طوال النهار . لم يكن لدي ما أفعله سوى الجلوس في البيت أو دعوة صديقاتي الى لعب البريدج أو لعب الغولف أو الذهاب للتزلج .

وهنا ارتجف صوتها قليلاً وتابعت تقول بتعاسة :

- ومن حين فقدنا الصبي الصغير ، بدأنا أنا ورامون ، نبتعد عن بعضنا

بعضاً .
- اي صبي صغير؟
- ابننا الذي توفي بعد بضعة ايام من ولادته . كان رامون يرغب دائماً في انجاب ابن وهذه رغبة ملتصقة بمذهب التعصب الذكري الذي يعتنقه بعض الرجال اللاتينيين اذ يعتقدون أن حصولهم على ابن يثبت رجولتهم أو شيئاً سخيفاً من هذا القبيل . في أي حال ، قال الأطباء آنذاك أن لا انجب اطفالاً آخرين ، وهكذا . . .
هزت كتفيها وكسا وجهها شجن وهي تضيف :
- فقد رامون اهتمامه بي . . . يمكنك تخيّل حياتنا منذ ذلك الوقت ، كلانا في اتجاه ، انما نعيش تحت سقف واحد ، ويمكنك أن تتصوري ايضاً حالتي النفسية والعاطفية عندما التقيت خوان وحيث كنت في حاجة ماسة الى الحب والصداقة . كان قد تعلّم التزلج كنوع من الترفيه بعد مرضه الطويل ، وبدا لي مختلفاً عن أي شخص التقيته من قبل . كان يمتلك نوعاً من السحر الخشن وعساك تفهمين ما أعني . قيل لي أن سحره هذا نابع من كونه مصارع ثيران وحيث توجد دائماً هالة ورومانسية حول هؤلاء المصارعين لأنهم كثيراً ما يلاصقون الموت أثناء المصارعة ! لكن لا بد لي من الاعتراف بأن تصرفي لم يقل سخافة عن تصرف فتاة مراهقة تشغف بنجم سينمائي ! كنت الحقه هنا وهناك وأذهب الى الأماكن التي اعرف انه سيتوجه اليها .
فسألتها سوريل :
- هل علم بشعورك نحوه ؟
- هذا ما ظننته . على الأقل ، لم يبدر لي ظهره ابداً وطالما تزلجنا معاً ، لكنك كنت اكثر حظاً مني اذ لم أقدر ابداً أن اجلس واياه منفردين . ثم مضت فترة طويلة لم أره خلالها وصارت الحاجة الى رؤيته تزداد في نفسي يوماً بعد يوم . كنت أعلم عنوانه من ايزابيلا ، وهكذا ذهبت ذات يوم الى مزرعته بسيارتي . اعتقد اني كنت مزمعة وقتها على ترك رامون والبنتين في حال رضي خوان أن يبقيني معه .
- ماذا حدث ؟
فغمغمت مونيكا مجيبة :

- اتمنى احياناً لو اني ما قصدته ابداً . اوه ، حدث شيء مريع ، مهين . . . ومع ذلك اعتقد انه كان عقاباً عادلاً على طيشي . لا . . . لا أستطيع اخبارك ما حدث ، الا انه اعادني الى رشدي وجعلني أعي مدى تهوري . خرجت من بيته أعدو وصعدت الى سيارتي . كان هدفي الوحيد أن أرجع الى هنا ، الى حيث الأمان والضجر ورامون . . . قدت السيارة بسرعة هائلة وعند أحد المنعطفات انحرفت بها عن الطريق . عندما استعدت وعيي في المستشفى تظاهرت بأني نسيت اين ذهبت ذلك اليوم . أملت ان لا يكتشف رامون الحقيقة ابداً لكنه كان يعرفها طوال الوقت . وهكذا يعتقد الآن بوجود علاقة سابقة بيني وبين خوان ، وبأننا نحاول اليوم احياء تلك العلاقة ، وهذا غير صحيح ، غير صحيح ، لكن الدلائل كلها ضدي يا سوريل ، ولا تبدو هناك أية طريقة تمكنني من أن اثبت له عكس اعتقاده .
- هناك طريقة واحدة .
انحنت مونيكا قليلاً وسألت بلهفة :
- ما هي ؟
- بوسعك أن تطلبي الى خوان رينالدا أن يأتي ويوضح لرامون الحقيقة .
- لكن كيف يمكنني ان افعل ذلك ؟
- اكتبي اليه ، أو ربما بوسعك أن تخابريه بالتلفون .
- لا . لا استطيع . فبعد ما حدث في المزرعة لا يمكنني ذلك ، سيكون الأمر في . . . منتهى الاذلال بالنسبة الي .
فقالت سوريل بصبر :
- اسمعي ، ان كنت تريدين انقاذ زواجك فعليك أن تجازفي بتعرّضك لبعض المهانة . ان طلب المساعدة من رينالدا هو في رأيي الطريقة الوحيدة لاقناع زوجك بأنه كان مخطئاً في ظنونه ، ليس فقط بشأنك بل بشأني كذلك .
فبدا الغضب على مونيكا واجابتها بانفعال :
- اذن ، اذهبي أنت واطلبي الى خوان أن يأتي ويكلم زوجي ! اذهبي الى مزرعته واكتشفي أي نوع من الاستقبال ستواجهين !
وضعت سوريل يديها في جيبي روبها ، وأجابت على تحدي مونيكا قائلة

بصوت هادىء :

ـ حسناً ، سأفعل . لكن عليك أن ترشديني الى كيفية الوصول الى هناك .

حدقت اليها مونيكا بذهول ثم سألت ببطء :

ـ انت تقصدين ما تقولين ، أليس كذلك ؟

ـ بالطبع ، اعني ما اقول ، فلقد فصلت من عملي بطريقة جائرة وبلا رسالة تزكية ولا يمكنني أن أرضخ بصمت لما حصل . يجب أن أفعل شيئاً لأبرىء سمعتي ، ولأتمكن في الوقت نفسه من مساعدتك على ترميم زواجك وذلك بتوضيح الحقيقة لزوجك .

ـ لكني لست متأكدة يا سوريل ان كان يجب ان اسمح لك بالذهاب .

ـ ليس باستطاعتك أن تمنعيني ! في أي حال ، لقد ذهبت مرة بنفسك فلم لا اذهب أنا أيضاً ؟

فتمتمت مونيكا قائلة :

ـ ما كان يجب أن أتهور بالذهاب . هذه ليست انكلترا كما تعلمين . انها بلاد كبيرة عنيفة وأهلها لا يتصرفون دائماً بطرق راقية متحضرة . لنفترض ان شيئاً حدث لك ، فماذا سأقول لأمي أو لأبويك ؟

ـ وماذا يمكن أن يحدث ؟

ـ قد يخطفك أحد أو يسرقك باستعمال العنف أو يغتصبك حتى .

ـ هل حدث لك أي من هذه الأشياء ؟

ـ كلا . لكني ذهبت في سيارتي الخاصة . أما أنت فعليك ان تأخذي الطائرة الى مانيسالاس ومن ثم تستعينين بشكل من أشكال النقل المحلي ، لست متأكدة من أنواع المواصلات هناك ، كما أن المزرعة بعيدة جداً ، وقد يتصرف معك خوان بشراسة فتضطرين الى ايجاد طريق عودتك . . .

فهتفت سوريل :

ـ هل لك أن تكفي عن القلق ؟ لن يحدث لي شيء ، وما دمت أعلم الآن كيف ابدأ الرحلة فسأعرف كيف اكملها بنجاح . سأدع بيدرو يأخذني الى المطار وكأني ذاهبة لاستقل طائرة الى انكلترا ، وبدلاً من ذلك سوف استقل واحدة الى مانيسالاس . سأجد طريقي الى المزرعة بشكل ما ، وأحاول العودة غداً ، الا اذا استطعت اقناع رينالدا بأن يأتي هذا

المساء .

بعد ساعة كانت حقائبها مودعة بأمان في احدى خزائن المطار ، وهي داخل طائرة تقلها الى مانيسالاس . أخذت معها حقيبة سفر صغيرة في حال اضطرت الى المبيت في ايبارا أو في مانيسالاس بعد زيارتها لمزرعة رينالدا . كانت واثقة تماماً من نجاح مهمتها فمن المؤكد ان مصارع الثيران سيسارع بلهفة الى انكار التهم الزائفة التي الصقت به .

لدى وصولها الى مانيسالاس ، قيل لها في مكتب الاستعلامات السياحي في المطار ان باستطاعتها الوصول الى ايبارا بواسطة الباص المحلي الذي عليها أن تستقله من الساحة الرئيسية والذي يغادر في الساعة الثانية تقريباً . شعرت سوريل كأنها في اجازة . فاستمتعت بالرحلة في ذلك الباص الهرم والمطقطق . لم تكن المناظر برية كما توقعت بل أشبه بمتنزه فسيح ذي اراضٍ عشبية مشمسة ، مرقطة بشجيرات صغيرة أو غيض أشجار ، ويخترقها نهر متلألىء تتدفق مياهه على الصخور العديدة . كانت ايبارا عبارة عن مجموعة بيوت طينية ذات أسطح من التنك المغضن أو من القرميد العتيق الذي تحوّل لونه ، بفعل التقلبات الجوية الى لون رمادي مخضر . سائق الباص أشار على سوريل بأن تسأل في الفندق عن طريقة نقل توصلها الى مزرعة رينالدا ، وبعد أن ترددت لبضع لحظات بسبب رهبتها من مشهد الفندق المتداعي ، عبرت ابوابه المهتزة الى ردهة المدخل المعتمة .

ولما اعتادت عيناها على العتمة رأت أن هناك عدة رجال يجلسون بارتخاء امام المقصف ، وأنهم توقفوا عن الحديث والشراب ليحدقوا اليها بدهشة شديدة .

ـ ماذا تريدين يا سنيوريتا ؟

كان المتكلم امرأة قصيرة مكتنزة ذات شعر أسود مبعثر وبشرة دهنية ، تدخن سيكارة بنية طويلة وتحمل صينية مكدسة بالأطباق . فأجابت سوريل وهي تجعد انفها قرفاً من رائحة المكان وقذارته :

ـ اني ابحث عن سيارة توصلني الى مزرعة رينالدا .

فأشاحت المرأة برأسها الى شخص كان يقف خلف سوريل ونادت قائلة :

- بانشو ؟ وجدت لك راكبة .

ثم ألقت على سوريل نظرة تقييمية من عينين بضيقهما دخان السيجارة ، وقالت لها :

- سيأخذك بانشو وستكونين معه في أمان لأنه يعمل لدى رينالدا .

بعد خمس دقائق كانت سوريل تتمسك بمقبض الباب داخل شاحنة ثابتة تشق طريقها قفزاً على طريق مخددة متعرجة ، وتساءلت ان كانت في أمان فعلي مع بانشو الذي عكف على قيادة الشاحنة بسرعة هائلة وكأنه لا يعرف معنى التمهل .

سألها صارخاً ليطغى صوته على ضجيج المحرك :

- لماذا تأتين الى المزرعة ؟

- لأقابل السنيور رينالدا لأمر هام .

- هل يتوقع قدومك ؟

- اجل .

ليست هذه الحقيقة تماماً لكن خوان رينالدا طلب أن تتصل به في حال واجهت مشاكل مع مخدومها . وعاد بانشو يسألها زاعقاً :

- هل أنت اميركية ؟

لم يكن السؤال جديداً بالنسبة اليها وقد طرح عليها عدة مرات منذ مجيئها الى كولومبيا ، فحين يسمعها الناس تتكلم الاسبانية بلهجة انكليزية خفيفة يفترضون فوراً انها من الولايات المتحدة الاميركية . اجابته :

- لا ، انا من انكلترا .

فأهداها ابتسامة عريضة بيضاء ، وهتف :

- يا الهي ! انها بعيدة جداً من هنا . حسبتك صديقة للسنيورا لأنها كانت تعيش في اميركا .

اية سنيورا يقصد ؟ زوجة خوان رينالدا ؟ بالطبع ، لماذا لم تفطن الى هذا من قبل ؟ الآن فهمت لماذا ذكرت مونيكا تعرضها للاذلال حينما زارت المزرعة . لا بد أنها التقت وقتها بزوجة خوان رينالدا . سرها ان تتسلح بهذه القطعة الجديدة من المعلومات فأحست بعودة مفاجئة نحو الشاب الذي يقود الشاحنة . وسألته :

- ماذا تعمل في المزرعة ؟

- اعمل مع الثيران وأتعلم من « الشجاع » كيف أصبح مصارع ثيران . في الوقت الحاضر أنا مجرد مروّض ، أغرز الرماح في الثور كي أجعله يتهيج في الفصل الأول من المصارعة . هل تفهمين ما اقول ؟

فلم تملك الا أن تقول :

- يا للثور المسكين ! الا تخاف أن تُجرح كما حصل للسنيور رينالدا ؟

- اجل . اخاف ، لقد جرحت مرتين لغاية الآن ، لكن مصارعة الثيران تشكل امتحاناً عظيماً لشجاعة الرجل ، يقولون ان « الشجاع » فقد جرأته بعد مصارعته الأخيرة لأنه اصيب بجرح بالغ . لكنني لا اصدق ذلك .

ثم خفض بانشو صوته وقال بهمسة دراماتيكية :

- لقد حضرت تلك المصارعة . رأيتهم يحملونه خارج الحلبة ووجهه كتلة من الدم وثيابه ممزقة .

فأحست سوريل بغثيان لم يتسبب فقط عن ترنح الشاحنة وقالت بسرعة :

- اوه ، ارجوك ، لا تخبرني المزيد . . . اعتقد أن مطلق انسان يجرف الثور لحمه من شأنه أن يفقد جرأته .

- لكن ليس خوان رينالدا ابن رودريغو رينالدا وعضو أشهر العائلات الاسبانية في مصارعة الثيران ! انا محظوظ جداً لكوني أتعلم من شجاع ابن شجاع . انظري سنيوريتا . لقد وصلنا البيت تقريباً . اليس جميلاً ؟

كان بالفعل جميلاً . بناء مستطيل ، منخفض ومترام ، له نوافذ صغيرة مغطاة بحواجز حديدية مزخرفة ، يقوم على أرض مرتفعة تطل على النهر الجاري . خلفه ، كانت الأراضي تتألق تحت أشعة الشمس ، وعلى جدرانه البيضاء ظلال سوداء تطرحها شجيرات مزهرة . الدرب الذي اقتربا عليه الى البيت ، انعطف حول الجدران البيضاء ثم تحت قنطرة والى ساحة رئيسية حيث أوقف بانشو الشاحنة والتفت الى سوريل يقول ببسمة انشراح :

- ها قد وصلت . سأنزلك هنا .

مد ذراعه من أمامها وفتح الباب الى جانبها لتهبط وأردف :

- اذهبي الى الباب هناك . مديرة المنزل ستعلم السنيور رينالدا

بقدومك . مع السلامة .

فترجلت وصفقت الباب خلفها . تحركت الشاحنة من جديد وانطلقت بسرعة مثيرة الغبار لدى مرورها العاصف تحت القنطرة . وقفت سوريل وحيدة ، تصغي الى صدى المحرك المتباعد وتتأمل ماء ينساب على تمثال برونزي لصبي قائم في منتصف بركة صغيرة تحيط بها اكوام من الزهور .

استدارت على مهل صوب البيت وحرارة الشمس تلسع ظهرها وعنقها . مرت تحت قنطرة ثانية الى رواق مسقوف مبلط الأرضية ويلف البيت من ثلاث جهات . اما الباب الخشبي الثقيل فذو مفاصل حديدية مزخرفة ، وقبضته عبارة عن حلقة ضخمة من الحديد ذاته . كانت على وشك ان تقرعه حين فتح الباب فجأة ، وهتفت الشابة التي فتحته :

ـ يا الهي ! لقد أرعبتني ! من انت ؟ ماذا تبغين هنا ؟

كانت طويلة مكتنزة ، ترتدي تنورة بنية مخملية وجزمة طويلة من الجلد البني . بلوزتها حريرية بلون الكريم ، وسترتها قصيرة تشد الخصر ، بنية مخملية كما التنورة . اما شعرها فكان بنياً غامقاً ذا غرة جانبية تطل على عينين رماديتين متباعدتين ومعقوصاً الى خلف بشريطة ذيل الفرس . وعلى يدها الممسكة بحافة الباب رأت سوريل عدة خواتم ، معظم فصوصها من الزمرد والماس وذات ألق وهّاج شدّ بصرها بانسحار . وتحت الخواتم رأت محبساً ذهبياً سميكاً . وفجأة ، قالت الشابة بلهجة اميركية على انكليزية :

ـ حسناً ، انت لا تفهمين الاسبانية . سأحاول ثانية . من أنت وماذا تريدين ؟

فاقتلعت سوريل بصرها من الثروة المتألقة على اصابع الشابة وقالت :

ـ اسمي سوريل برستون . جئت لاقابل السنيور خوان رينالدا . أهو موجود ؟

اتسعت العينان وراحت نظرتها تجرف سوريل من قمة شعرها الأحمر كورقة سنديان خريفية الى بلوزتها القطنية الصفراء وتنورتها الغجرية المزهرة وحتى صندليها الجلديين البنيين ، وغمغمت :

ـ يا الهي ! ماذا تراه فعل الآن ؟

ثم استجمعت شتات نفسها وأضافت ناظرة في عيني سوريل :

ـ كلا ، انه خارج البيت يلاحق الثيران في مكان ما على اراضي

المزرعة ، يجب أن يأتوا بها استعداداً لمصارعة يوم غد . يمكنني ارسال شخص لاستدعائه ان كنت لا تمانعين في الدخول والانتظار .

اجابت سوريل وهي تعبر العتبة :

ـ شكراً . كيف عرفت انني اتكلم الانكليزية ؟

فردت الأخرى بصوت هادىء :

ـ من ثيابك . تفضلي ، من هنا .

قادتها المرأة الى غرفة واسعة مستطيلة تطل على مروج مشمسة تنحدر الى تلال مشجرة مستديرة ، وسألتها :

ـ كيف جئت ؟

شرحت لها سوريل التفاصيل فأومأت برأسها . جلست على حافة مكتب انيق وقالت :

ـ سمعت صوت شاحنة وهذا ما جعلني أفتح الباب . كنت انتظر وصول سيارة من كوريايا لتحملني بعيداً من هنا . لقد سئمت هذا المكان .

طوّحت يدها البراقة في حركة شملت الغرفة وما وراءها وأردفت :

ـ اني راحلة . منذ مدة وأنا افكر في الرحيل لكنني لم أطلع خوان على قراري الا مساء امس . منذ متى تعرفينه ؟

ـ لقد . . . التقينا . . . يوم الأحد .

فاتسعت العينان مجدداً ، ثم قوّست الشابة عنقها الرائع وأطلقت ضحكة طويلة . ومقت سوريل بنظرة ناقدة وقالت :

ـ ما أسرع خوان في التحرك ! هل لديك طباع حادة تنسجم مع شعرك الناري البديع ؟ اذا كان الأمر كذلك ، سيواجه خوان اياماً عصيبة يستحقها ! لقد حان الوقت لأن يجد من يروّضه !

هبطت عن المكتب وأردفت :

ـ استأذنك الآن لأكمل توضيب حقائبي . سأطلب من أحد الصبية أن يستدعي خوان . في رعاية الله يا سنيوريتا وتمنياتي لك بالتوفيق . لقد مرت ستة أشهر على وجودي هنا ، انما لدي شعور غريب بأنك ستمكثين مدة اطول ، أطول بكثير . . .

غادرت الغرفة بسرعة ، مثيرة في سوريل شعوراً جارفاً من الحيرة . هل جاءت في اللحظة المناسبة لتشهد زواجاً يتحطم ؟ فمع أن المرأة لم تعرّفها

باسمها ، الآن سوريل مقتنعة بانها زوجة خوان ، السنيورا التي ذكرها بانشو وقال انها جاءت من الولايات المتحدة . لقد تكلمت الانكليزية بلهجة اميركية ، وتلبس محبس زواج ، اضافة الى قولها انها سئمت العيش هنا . ستة أشهر ! قبل ستة اشهر جاءت مونيكا الى هذا البيت الجميل وتعرضت لمهانة واذلال . من أهانها ؟ الشابة التي تركت الغرفة لتوها ؟ ربما . . . وهل أهينت مونيكا هنا ، وسط كل هذا الجلد الأحمر والستائر الحمراء والخشب الداكن والزخارف الفضية والنباتات المعربشة والصور الفوتوغرافية العديدة على الجدران ؟

انفتح الباب فتقلصت عضلاتها اذ توقعت رؤية خوان رينالدا يدخل عليها ، لكنها رأت امرأة هجينة ضئيلة ، تتقدم بصينية عليها ابريق قهوة وفنجان وطبق حلوى . قالت المرأة وهي تضعها على طاولة قرب مقعد سوريل :

ـ طلبت السنيورا انيز أن آتيك بهذا ، وقد ارسلت تستدعي السنيور خوان .

ـ شكراً .

ـ لا شكر على واجب .

استدارت المرأة صوب الباب فاستوقفتها سوريل قائلة بسرعة :

ـ لحظة من فضلك . اود التكلم ثانية مع السنيورا .

ـ لا جدوى من ذلك فقد رحلت .

ثم غادرت الغرفة بهدوء كما دخلت . احست سوريل بحاجتها الى شراب ينعشها فسكبت القهوة في فنجانها واخذت تقضم قطعة حلوى من جوز الهند ، وهي تأمل ان يأتي خوان في اقرب وقت .

وبعد فنجان ثانٍ من القهوة وقطعة اخرى من الحلوى نهضت تجول في ارجاء الغرفة وتتأمل باعجاب نماذج رائعة لمعدنيات هندية محلية ، معروضة في خزانة زجاجية الواجهة من خشب الورد . العديد من القطع النحاسية والبرونزية كانت نسخاً طبق الاصل عن قطع من الذهب الخالص شاهدتها من قبل في زيارتها الوحيدة لمتحف مصرف الجمهورية في بوغوتا . وفي خزانة اخرى رأت مجموعة من الأثريات الفضية ، قدرت ثمنها بالوف الجنيهات .

انتقلت الى الصور الفوتوغرافية التي تغطي معظم مساحات الجدران ، وكل واحدة تظهر مشهداً متحركاً في مصارعة ثيران ، اضافة الى صورتين نصفيتين ، احداهما لرجل خمنت أنه رودريغو رينالدا ، والد خوان . . . عينان قاسيتان وفم مائل في وجه نحيل خشن . اما الصورة الثانية فتمثل امرأة شقراء الشعر ذات عينين رماديتين ضاحكتين . زوجته ؟ والدة خوان ؟ وفيما هي تحملق فيها شعرت فجأة بخفوت ضوء الشمس فنظرت بسرعة الى ساعتها واذ بها تناهز السادسة . كانت الشمس تغرب ، ومن خلال النافذة استطاعت رؤية الحقول تتألق كذهب عتيق تحت أشعة تميل عليها من تحت غيوم رمادية ملبدة ، تنذر بالمطر .

حان الوقت لان ترجع الى ايبارا ، لكن خوان لم يظهر بعد . ثلجت الخيبة اطرافها . . . هل اخطأت غابرييلا في التعرف الى شخصيته ؟ ربما اتضح في النهاية ان الرجل الذي قضت معه ليلة في الملجأ هو غير مصارع الثيران الشهير ؟ كم ستشعر بغبائها وهي تشرح لرجل غريب تماماً ، سبب مجيئها لرؤيته ! وراحت تحدق بذعر الى الصور ، علها تجد صورة تشبه الرجل الذي التقته . عجزت عن الرؤية الواضحة بسبب العتمة المتزايدة فاشعلت أحد المصابيح الكهربائية واستدارت الى الجدار المقابل حيث بدت نوعية الصور اكثر عصرية . لم تجد بينها صورة نصفية . جميعها تظهر مشاهد مأخوذة أثناء الصراع ، الثور يخفض قرنيه وهو يهجم بجنون على رجل في لباس المصارعين يمسك بعباءة لصق جسمه . استحال عليها أن ترى وجه الرجل . ولكن ، أليست وقفته مألوفة ؟ وتوالت هذه المشاهد المتشابهة حتى توقفت أمام الصورة الأخيرة وحيث اصيبت برعدة خفيفة لأن الثور كان يقذف الرجل في الفضاء . ألم تؤخذ هذه الصورة في مصارعة رينالدا الأخيرة ؟

جلست ظهرها وحدقت الى صور اخرى ثم احست بالصمت المخيم على البيت . لم يأت خوان رينالدا لانه لم يعرف اسمها ، لانه غير الرجل الذي التقته في الملجأ ! يجب أن تغادر هذا البيت فوراً . هرعت تلتقط حقيبتها الصغيرة وما ان تقدمت في اتجاه القنطرة المؤدية الى الردهة حتى قفزت مندهشة وغطت فمها بيدها لتمنع نفسها من الصراخ . رأت شخصاً في العتمة ، يقف ساكناً يراقبها ، وفيما هي تشخص اليه ، دخل

الغرفة ببطء واذ به ، في ضوء المصباح ، رجل متين البنية يرتدي بنطلوناً ، داكناً ، فضفاض الرجلين وسترة جلدية مفتوحة حتى الخصر . رجل تبرق عيناه الرماديتان في وجهه النحيل الأسمر وعلى الأيمن ندبة طويلة ، قال لها :

ـ مساء الخير يا سوريل ، اعتذر لأنني جعلتك تنتظرين ، لكني حسبت انيز تمارس معي لعبة احتيال عندما قيل لي ان هناك امرأة انكليزية ذات شعر أحمر تنتظر رؤ يتي ، ولذا تقاعست عن المجيء . ان لها طريقة خبيثة في المزاح .

غمرها الارتياح لكون غابرييلا لم تخطىء التعريف ، فأحست ارتجافاً مفاجئاً في ساقيها وخفقاناً عنيفاً في قلبها . ارتياحها هو حتماً السبب الحقيقي لانفعالها ، وليس فرحها برؤ يته . تمالكت نفسها ، فوقفت أمامه متماسكة وقالت بصوت فاتر :

ـ كنت على وشك الذهاب .

مر من أمامها وتقدم ليجلس على حافة المكتب كما فعلت تلك الشابة التي افترضت انها زوجته . قال لها :

ـ لاحظتك تتأملين الصور ، هل تروق لك مصارعة الثيران ؟

ـ لم . . . اشهد اية مصارعة . هل كل تلك الصور لك انت ؟

ـ نعم . ومعظمها التقط أثناء مصارعتي الأخيرة .

فألقت نظرة سريعة على التي تمثله مقذوفاً في الفضاء وأشاحت عنها مرتعدة واذ بها تواجه بريقاً ساخراً في عينيه الراصدتين حركاتها . فغمغمت قائلة :

ـ لم اكن ادرك أن المصارعة قد تؤذي المصارع والثور معاً . انها لعبة قاسية ومحطة للكرامة .

ـ اهذا رأيك ؟ هي في الواقع أقل خزياً للرجال من خزي الملاكمة أو المصارعة البدنية ، وأقل قسوة على الثيران من قسوة سباق الحواجز على الخيول . فالثيران الشجاعة يصفق لها الناس هنا مثلما يصفقون للرجال الشجعان .

ابتسم لها وأردف :

ـ لكنك لم تأتي هنا لتناقش هذا الموضوع . تفضلي بالجلوس ودعيني

أقدمّ لك شراباً .

انزلق عن حافة المكتب وسار الى خزانة مقفلة فتحها وقال :

ـ اتحبين شراب قصب السكر ؟ انه منعش ولذيذ المذاق .

ـ ارجوك ، لا تزعج نفسك . يجب أن أذهب .

سار الى حيث تجلس وقدم لها احدى الكأسين قائلاً :

ـ ليس قبل أن تطلعيني على سبب مجيئك . البنت غابرييلا عرفتني صباح امس . اليس كذلك ؟

ـ اجل .

ـ يا لسوء الحظ ! اذن واجهت متاعب ؟

اومأت بالايجاب ورشفت الشراب متذكرة انها لم تأكل شيئاً مغذياً منذ وجبة الافطار . وقال برقة :

ـ ضعي حقيبتك جانباً وتعالي نجلس لتروي لي كل ما حصل .

أخذ الحقيبة من يدها وألقاها على الأرض ثم قاد سوريل الى مقعد مزدوج من خشب الماهوغاني مكسو بقماش مزين بالرسوم كان يملأ فجوة النافذة . أدهشها لطفه وطغى عليها فلم تبد أية مقاومة . وقال يحثها :

ـ والآن ، ماذا حدث ؟

ـ فقدت عملي .

أطلق سباباً بذيئاً بالاسبانية مما جعلها تنظر اليه جفلة ، فقال باسماً :

ـ انها لغة خاصة بمصارعي الثيران . . . هل ذكر لك السبب الذي حداه الى فصلك ؟

ـ قال السنيور اهل أنني كذبت عليه وتعمدت اخفاء هويتك حين زعمت أن اسمك دومينغو . واعتبرني غير أهل للثقة واتهمني بتورطي مع زوجته في مؤامرة ولهذا لن يسمح باستمرار اقامتي في بيته . . . لماذا لم تطلعني على اسمك الحقيقي ؟ لماذا كذبت علي ؟

حدّق اليها للحظة ثم أشاح وجهه عنها وقال مسنداً ذراعيه على ركبتيه :

ـ الشرح ليس سهلاً . . . لكني حالما علمت أنك تعملين لدى رامون اهل توقعت أن تجابهي مشكلة اذا اكتشف أنك قضيت الليل معي انا بالذات .

توقف ليرشف من كأسه ثم اضاف بصوت مشحون بالمرارة :
ـ ان نجاحي كمصارع ثيران اقتضى مني أن أعيش القسم الأكبر من مراهقتي تحت أضواء الشهرة الساطعة . كنت اذا نظرت فقط الى احدى النساء يفترض الناس فوراً انها عشيقتي أو انها ستصبح كذلك .
التفت اليها من وراء كتفه وسألها مقطباً :
ـ اتفهمين ما أعني ؟
ـ أظن . . . ذلك .
ـ اذن قد تفهمين ايضاً ، لماذا فكرت أنه من الأفضل لمصلحتك الآ أذكر لك اسمي الحقيقي ، وذلك خشية أن تذكريه لمخدومك . انا لم أكذب ، فدومينغو هو اسمي الثاني .
جرع بقية الشراب وتابع محدقاً الى الكأس الفارغة :
ـ لقد فشلت خطتي ويؤسفني جداً انك فقدت عملك بسبب اضطرارك الى قضاء الليل معي .
استدار فجأة صوبها ثم مد ذراعه على ظهر المقعد وقال ناظراً اليها من بين اهدابه الكثيفة :
ـ حين افترقنا امس لم يخطر لي أنني سأراك ثانية بهذه السرعة .
شعرت باشارات خطر تتعرج في داخلها . كان قريباً جداً فتحس الدفء ينبعث منه . كانت ممزقة بين رغبتين ، رغبة في لمسه والاستسلام لدعوة الحب المتألقة في عينيه ، ورغبة في القفز والهرب من الغرفة ومن البيت ، والعودة الى ميدلين بأقصى سرعة ممكنة . العودة الى . . . كيف وصفتها مونيكا ؟ آه . . . العودة الى الأمان والضجر .
لكنها لم تنفذ أياً من الرغبتين . تحاشت نظرته المركزة ونظرت الى كأسها قائلة :
ـ لو لم تلح علي مونيكا بالمجيء لما أتيت . انها توافقني على أنه من الظلم أن أفقد وظيفتي وأحمل وزر ذنب لم أقترفه .
لقد كذبت قليلاً ، لكن مبالغتها قد تجعله يدرك أنها لم تأت فقط لتراه وتجعله بالتالي يلتزم حدوده .
ـ أنا أوافق أيضاً ، وليتني استطيع اصلاح الأمور . . .
فقاطعته قائلة بلهفة :

ـ اوه ، بوسعك أن تصلحها وذلك بأن تعود معي الى ميدلين لتقابل رامون انهل وجهاً لوجه وتخبره بانك لم تتواطأ مع مونيكا على استعمالي كوسيط .
ـ المعذرة ، اني لا افهم معنى لكلامك .
لقد ابتعد عنها على الأقل ، وعاد نبضها الى طبيعته . قالت موضحة :
ـ اصرت مونيكا على أن أرافق الفتاتين في رحلة التزلج مما جعل زوجها يعتقد الآن ، أن التقائي بك كان خطة مدبرة ، أي أنها طلبت الي أن أجدك لأبلغك رسالة منها وانقل اليها رسالة منك .
تبخر الدفء من عينيه وبدتا قاسيتين وباردتين كما الصوان .
ـ رسالة ؟ من أي نوع ؟
فأجابته بحدة :
ـ لم اتورط في شيء كهذا من قبل ولذا لا يمكنني الاجابة على سؤالك .
شعرت سوريل بالأمان حين نهض واقفاً وسار بعيداً ليملأ كأسه من جديد . فتابعت تقول :
ـ لكنني اعلم أن رامون انهل يعتقد أن زوجته ، أو انت ، أو كليكما ، يحاول احياء العلاقة التي كانت بينكما قبل حصول الحادثة .
استدار ليواجهها وقال بسخرية قاسية :
ـ مع امرأة مقعدة ؟
فردت بحدة مماثلة :
ـ ستتمكن من المشي عما قريب ، فمنذ بدأت أشرف على تمارينها وتدليكها ، تحسنت كثيراً عن ذي قبل .
ـ فهمت .
وضع كأسه جانباً ، وسار اليها ليقف امامها مشبوك الذراعين منفرج الساقين وقال :
ـ وهل تعتقدين حقاً ، أنني اذا قصدت رامون انهل وأفهمته بأني لا اهتم بتاتاً باعادة هذه العلاقة ، ستستردين وظيفتك ، وستسترد هي ثقته بها ؟
ضايقها ارتيابه الواضح ، فاستقامت في جلستها وواجهت نظرته الساخرة بقولها :
ـ لو لم أعتقد أن الأمر جدير بالمحاولة لما جئت اليك . هلا فعلت ذلك

من فضلك ؟

فأجاب بصوت حازم قوي :

ـ كلا . لا أستطيع .

ـ لكنك قلت انك تود اصلاح الأمور ؟

ـ اصلاحها بالنسبة اليك لا بالنسبة الى تلك التافهة التي ورطت نفسها بنفسها من خلال تصرفاتها الحمقاء ! الى أين تذهبين ؟

كانت ، لشدة غضبها من موقفه الساخر اللاذع ، قد قفزت واقفة وهرعت تحمل حقيبتها لتخرج من الغرفة لكنها توقفت فجأة حين وجدته امامها ، يسد فتحة القنطرة بقامته وذراعيه الممدودتين . فقالت بنظرة متأججة :

ـ اريد العودة الى ايبارا .

سألها بلطف :

ـ لم انت غاضبة مني الى هذا الحد ؟

ـ بسبب موقفك من مونيكا ! قد تقول بعد قليل ، انها هي التي ركضت وراءك بدون أن تحرك أنت ساكناً !

ـ هذا صحيح ، فأنا لم اركض وراء اية امرأة في حياتي .

فهتفت بصوت ثائر :

ـ تعني أن النساء كن يركضن دائماً وراءك ! اوه ، ما أشد غرورك !

ـ لماذا انا مغرور ؟ لأنني ذكرت الحقيقة ؟ مونيكا انهل هي التي كانت تلاحقني الى السومبريرو لتتزلج معي في كل مرة اذهب الى هناك ولم اطلب اليها ذلك . كما لم ادعها أنا الى المجيء الى هنا ، لتعتدي على خصوصيتي .

ـ لا بد أنك فعلت شيئاً . لا يعقل أن يكون كل ذلك قد حصل من جانب واحد .

ـ بل حصل ، فهي ليست من النوع الذي يمكن له أن يجذبني ، ولو أن رامون انهل كان يقوم بواجبه الزوجي كما يجب لما اضطرت هي الى البحث عن صديق .

وهنا لاحت على جانب فمه ابتسامة خفيفة ورقت عيناه وهو يتابع :

ـ هناك طرق عديدة لارضاء الزوجة ولتحبيبها الى بيتها ، ومعظمها

طرق ممتعة جداً .

ـ اذن ، ما الذي منعك من استعمال هذه الطرق مع زوجتك نفسها ؟

سقطت ذراعاه الى جنبيه وقال محدقاً اليها بذهول :

ـ زوجتي ؟ انا لست متزوجاً .

ـ اوه ، انت بالفعل لا تطاق ! حسناً ، ليس لك زوجة لأنها تركتك .

ـ بماذا تهذين بحق السماء ؟

ـ زوجتك كانت هنا بعد الظهر . هي التي ادخلتني وأرسلت تخبرك انني هنا . اسمها انيز .

حدق اليها بنظرة متأملة وهو يكتف ذراعيه على صدره ويتأرجح على قدميه ، ثم ابتسم بالتواء وتشدق قائلاً :

ـ آه ، نعم ، انيز انها جميلة ، اليس كذلك ؟ لكنها ليست زوجتي .

ـ اوه .

أحست للحظة انها غبية جداً ، لكن حين فطنت الى حقيقة علاقة اخرى ، لا بد انها تربطه بأنيز ، احست بسخونة تصبغ وجنتيها وبرغبة ملحة في الهرب من ذلك البيت فوراً . تذكرت تحذير مونيكا فغمغمت وهي تتقدم الى الردهة :

ـ ما كان يجب أن أتهور بالمجيء الى هنا .

لكنه سد طريقها ثانية وقال برقة :

ـ ومع ذلك انا مسرور لأنك اتيت ، وأرجو أن تبقي .

ـ ابقى هنا ؟

كم هو وقح هذا الرجل ليقترح عليها البقاء ! خنقها الغضب ثم تنفست بعمق وتابعت :

ـ لا بد انك تمزح ! سأرجع الى ايبارا لأبيت في الفندق .

فأجابها متحدياً :

ـ وكيف ستصلين الى هناك ؟

ـ مشياً على قدمي . هل لك أن تفسح لي الطريق ؟

حاولت أن تزوغ منه يمنة ويسرة الاّ أنه كان يستبقها ويسد طريقها . انه يتحرك بسرعة الفهد ولن تنتصر عليه في هذه اللعبة . اذعرها فشلها ففقدت اعصابها وصرخت :

- اوه ، هل لك أن تكف عن معاملتي كواحد من ثيرانك المسكينة ، وتدعني امر ؟
- هذه مقارنة صائبة فأنت كثور صغير ، ثور احمر عصبي ، وتريدين تمزيق لحمي . أتعلمين أن لدينا رقصة في كولومبيا تسمى التشتشيمايا وحيث تمثل المرأة دور الثور وتحاول طعن شريكها ؟ اذن حاولي مرة ثانية ، ايتها الثورة الصغيرة ، وانظري ما سوف يحدث لك .

اثارتها سخريته ، فاندفعت بقوة الى الأمام حين انتحى جانباً ورأت الطريق سالكة الى باب البيت . لكنه سرعان ما اعتقل خصرها بذراعه ثم الصق ذراعيها بجنبيها ، فهتفت تطلب منه افلاتها وهي تضرب ساقيه بحقيبتها في محاولة ركيكة لايذائه ولتجعله بالتالي يرخي قبضته . اجابها بفتور :

- لن افلتك . الآن وقد اصبحت هنا ، سوف ابقيك هنا لتعيشي معي .

فشهقت قائلة :

- اعيش معك ؟ لا بد أنك فقدت عقلك !

ثم قذفت رأسها الى خلف كي تستطيع النظر اليه . وتابعت بصوت ثائر لاهث :

- ادركت الآن لماذا لا يسمح رامون انهل لابنتيه بأن تختلطا مع مصارعي الثيران . أنت لست فقط بلا اخلاق بل مجنون ايضاً ! لا . لا أريد العيش معك .
- ستفعلين ذلك . بعد أن تمكثي هنا فترة من الوقت . انت الآن غاضبة جداً الى حد لا تعرفين معه ما تريدين .

ثارت فيها نزعتها الاستقلالية فأحست نفسها ترفض بعنف أية محاولة لتقييدها ، وهتفت هائجة :

- لن ابقى ، وأنت لا تستطيع ارغامي على البقاء .
- اجل ، استطيع أن اسجنك في غرفة وأقطع عنك الطعام الى أن تستسلمي .

وللحظة ظهرت قسوته الاسبانية الموروثة في تقلص شفتيه ، وحذرها بريق عينيه الفولاذي من مغبة معارضته لكنها قالت :

- من تظن نفسك ؟ قاتل النساء ، ذو اللحية الزرقاء ؟
- لا ارغب في منافسة ذلك الوحش ، بل أفضل استعمال الاقناع بدل العنف .

ثم حنى رأسه باغراء قرب رأسها وأردف :

- سوريل ، ابقي معي . سترتاحين هنا اكثر بكثير مما سترتاحين في ذلك الفندق المليء بالبق والحشرات . ستكونين ايضاً في أمان أكبر .
- اوه ، لا ريب سأكون مرتاحة وسط هذا الترف المحيط بك . لكن . . . أمينة ؟

مالت على حاجز ذراعيه مبعدة وجهها عنه وتابعت :

- امينة ، معك انت ؟ اشك في ذلك كثيراً .
- قضيت النهار اتساءل عن طريقة تمكنني من رؤيتك والاتيان بك الى هنا . لكنك جئت من تلقاء نفسك ولذا لن اسمح لك الآن بالرحيل .

تسللت يده الى عنقها من تحت ستارة شعرها الحريرية وجذبها نحوه . ولامس فمه خدها في قبلة ناعمة وهمس لها :

- احبك يا سوريل واريدك .

فأجابت بعذوبة ساخرة :

- كبديلة لانيز ؟

وهنا ابتعد عنها فجأة فشعرت أنها حققت انتصاراً مهماً عليه ، وأردفت :

- ألم يخبرك احد انك لا تستطيع ان تحصل دائماً على ما تريد ؟
- اجل ، سمعت ذلك عدة مرات في طفولتي لكنه لم يؤثر فيّ بل جعلني اكثر تصميماً على نيل بغيتي أو على ايجاد طرق لنيلها . لكن ماذا كنت تقولين بخصوص انيز ؟
- قلت اني لست مثلها .
- هذا صحيح . فلو كنت مثلها لما رغبت فيك .
- قصدت بأنني لست من النوع الذي يمكنك ابتياعه بالثياب الفاخرة والمجوهرات النادرة .
- لا افهم . هل لك أن توضحي ذلك ؟
- اوه . لا اخالك تفهمني اكثر مما افهمك ، فنحن نختلف اختلافاً

شاسعاً في نظرتنا الى كل شيء ، ولهذا السبب لن ابقى هنا لاعيش معك . تصبح على خير يا سنيور .

استدارت ومشت بسرعة على ارضية الردهة اللامعة ثم اتجهت الى الباب الخشبي الكبير ، مستقيمة الظهر ، مرفوعة الرأس . توقعت أن يلحق بها ، وتساءلت كيف ستتصرف في هذه الحال ، لكنه لم يفعل ، بل لم يناديها ليستوقفها ، وهكذا استطاعت أن تفتح الباب وتغادر البيت . وحالما أصبحت خارجه ، ركضت عبر الباحة المضاءة وتحت القنطرة ثم سلكت الدرب المتعرج نزولاً على التل والمؤدي الى طريق ايبارا .

٤- سجينة مع الثيران!



كانت حقيبتها ترتطم بساقيها وهي تهرع راكضة على الدرب المنحدر. الليل معتم جداً، فلا بيوت مضاءة ولا نجوم في السماء المغطاة بالغيوم. وبدأت تمطر، رذاذاً ناعماً مستمراً، ما لبث ان اغرق شعرها وتسلل الى جسمها من خلال ثيابها الصيفية الرقيقة. اضطرت اخيراً الى التوقف والتقاط انفاسها. فعدا خفقان قلبها ولهاثها لم تسمع سوى تساقط المطر على أوراق شجر الاوكاليبتوس وخرير المياه وهي تتدفق على الارض كما البرك. يبدو ان لا احد لحق بها.

وعادت عبارة خوان تطرق جوانب ذهنها وتقلص شفتيها «لم اركض وراء اية امرأة في حياتي». انه مغرور مسيطر، ومئات المعجبين افسدوا اخلاقه بتملقهم لبطولاته. يجب ان تشعر بالسرور لأنه لن يكسر هذه

القاعدة ويجري وراءها هي.

نقلت حقيبتها الى يدها اليسرى وتابعت سيرها. لا داعي للركض ما دام ليس هناك من يلحق بها. كم تبعد ايبارا؟ حوالى عشرة كيلومترات. ما كان يجب ان تختار هذا الفصل الكولومبي الماطر، كما يسمون الشتاء هنا، لتسير في الليل بصندل مفتوح وبلا معطف واق من المطر. لا بد انها مصابة بالجنون نفسه الذي اتهمت خوان به.

ليتها اصغت الى مونيكا الاكبر سناً منها واتعظت بتجربتها! لماذا اصرّت على المجيء؟ لأنها وثقت بصدق رجل عرفته باسم دومينغو، واعتقدت حقاً انه سوف يساعدها في استرجاع وظيفتها. لكنها اكتشفت انه ما اراد اصلاح الامور الا ليحصل على مأرب خاص يستفيد منه وحده. وسرعان ما اختفت الاشجار اذ وصلت الى نهاية الدرب المتصل بالطريق العام. لكن، اياً من الاتجاهين يجب ان تسلك الى ايبارا، الأيمن ام الايسر؟ اجتاحها الذعر لما وعت جهلها للاتجاه الذي سلكه بانشو الى المزرعة. ينبغي ان تتابع سيرها وتجازف بسلوك الاتجاه الايسر، على امل ان تلتقي سيارة على الطريق ويوصلها السائق الى ايبارا. بعد ان قطعت مسافة قصيرة سمعت فجأة هدير محرك وراءها ما لبث ان تبعه حفيف دواليب على الطريق المبتلة ورأت المطر يتوهج في ضوء مصباحين اماميين. استدارت بتفاؤل فسقط الضوء عليها مباشرة. مرت بها السيارة على مهل ثم تفزت سوريل بفرح حين اتضح انها الشاحنة نفسها التي ركبتها ذلك العصر الى جوار بانشو، توقفت على مقربة منها، فهرولت صوبها وهي متأكدة ان بانشو الودود سيوصلها الى ايبارا.

وما ان وصلت باب الشاحنة الخاص بالركاب حتى انفتح من الداخل. امعنت النظر فطالعتها قبعة عريضة الاطراف كالتي كانت على رأس بانشو. سألت بحذر:

ـ بانشو؟

ـ اهه؟

ـ اذاهب انت الى ايبارا؟

ـ نعم.

وضعت حقيبتها على منتصف المقعد وصعدت الى الشاحنة الدافئة ثم

اقفلت الباب وغمغمت:

ـ الحمد لله. كم انا مسرورة لرؤيتك.

لم يجبها، لكنه ادار المحرك وتقدم قليلاً، وفجأة زعقت الدواليب حين قام بدورة كاملة على الطريق وانطلق في الاتجاه المعاكس.

ارتجفت سوريل برغم الدفء وهتفت:

ـ الم اكن اسير على الطريق الصحيح؟

فأجابها صوت مألوف:

ـ لا اظن ذلك.

ـ اوه، انت! اعتقد انه لا جدوى من الأمل بأن تتصرف بشهامة وتوصلني الى ايبارا؟

ـ اجل، لا جدوى هناك، فليس من الشهامة، في نظري، ان اوصلك اليها والقيك في ذلك الفندق المتداعي. سوف تبيتين الليلة في بيتي على الرحب والسعة. ان اقل شيء يمكنني فعله هو ان اقدم لك منزلي حين لا تجدين مكاناً آخر تذهبين اليه.

ـ هل تأخذني غداً الى ايبارا اذا وافقت على المبيت؟

ـ غداً؟ هل تتوقعين فعلاً ان يخطط اي كولومبي لوقت بعيد كهذا؟ من يدري ما قد يحدث من الآن حتى يوم غد؟ لن اعدك بذلك انما يمكنك التأكد من بقائك معي هذه الليلة. ليس امامك خيار آخر.

وهنا انعطفا على الدرب المؤدي الى البيت، ولما توقفت الشاحنة في الفناء ظلت سوريل تجلس ساكنة حتى انفتح بابها على اتساعه وسألها خوان بصوت حازم:

ـ هل ستأتين ام ستضطرينني الى جرك وادخالك البيت محمولة على كتفي؟

هبطت الى ارض الفناء فصفق باب الشاحنة وقادها من ذراعها صوب الباب الامامي الذي انفتح بهدوء لدى اقترابها من قبل المرأة الضئيلة السوداء التي جاءت لسوريل بالقهوة قبل ساعات. ازاح خوان قبعته ونزع عباءته الصوفية المخططة بالاسود والقرمزي ثم نظر الى سوريل وهتف:

ـ يا الهي! ثيابك تقطر ماء! اذهبي مع جوفيتا لتدلك الى مكان الاستحمام.

كان جسمها بأكمله في حاجة ماسة الى حمام ساخن، ولذا سارت طوعاً خلف المرأة الهزيلة التي قادتها عبر رواق مضاء الى غرفة فسيحة مؤثثة بسرير مزدوج له اربعة قوائم مجللة بستائر دمقسية بلون العاج والذهب، وبطاولة زينة ضخمة ذات مرآة كبيرة تحتل القسم الاكبر من الجدار الملصقة به. السجادة قرمزية سميكة، والنافذتان الضيقتان تتهدل عليهما ستائر عاجية شفافة، مزدانة الأطراف بكشاكش ومحاطة بجلالات ثقيلة مقصبة. فتحت جوفيتا باباً آخر ولجته واختفت وراءه، فسمعت سوريل صوت ماء يتدفق من حنفيه. بعد لحظات عادت العجوز تحمل على ذراعها رداء طويلاً، مطرزاً بقصب قرمزي واسود. قالت لسوريل:

ـ انزعي ثيابك المبللة يا سنيوريتا. لقد جئتك بهذا الرداء لتلبسيه بعد الاستحمام.

وضعته بعناية على السرير ثم عادت الى الحمام. خلعت سوريل تنورتها المبللة، فخامة الغرفة اصابتها بصدمة بسيطة، كما ان وجود ديكور انثوي كهذا في منزل رجل عازب اثار فيها ظنوناً عديدة. هل تراها صُممت وأثثت خصيصاً من اجل انيز؟ التقطت الرداء عن السرير. حجمه اكبر بكثير من حجمها وليس لديها اي شك في هوية صاحبه. لبسته وقربت فتحتيه الطويلتين من بعضهما البعض على صدرها ثم عقدت الحزام المخملي الاسود حول خصرها باحكام وهي تفكر في روعة الرداء البربرية والمشابهة لشخصية صاحبه. وقفت جوفيتا على عتبة الحمام وقالت:

ـ سنيوريتا، الحمام جاهز، تفضلي.

شهقت سوريل لروعة الحمام اذ كان حلماً جمالياً آخر، كله مرايا وبلاطه عاجي موشى بلمسات قرمزية وسوداء ساحرة الى درجة الخيال! المغطس من الرخام الاسود، مستدير وغارق في الارض، وكان مفعماً برغوة عاجية.

ـ والآن ادخلي المغطس يا سنيوريتا.

ثم بادرت الى فك الحزام من حول خصرها، فتراجعت سوريل وقالت محتجة:

ـ كلا، ليس قبل ان تخرجي من الحمام.

ـ لن اخرج. سأبقى هنا لأساعدك. سأغسل ظهرك وشعرك كي تبدي اكثر جمالاً.

ابتسمت المرأة فجأة، مظهرة اسناناً معافاة، واردفت:
- هذا ما افعله دائماً للسنيورا انيز.
- لا. لا شكراً. سأتدبر اموري بنفسي.
فأجابت جوفيتا بلهجة تملق فجائية:
- لكن السنيور خوان أوصاني بالاعتناء بك وبتأمين راحتك اثناء اقامتك معنا، وسيغضب مني ان خالفت اوامره.
ردت سوريل بعناد:
- سوف استحم واغسل شعري بنفسي، واذا حاسبك السنيور رينالدا على تقصيرك اخبريه عن لساني انني أفضل الاعتناء بأموري الشخصية.
أحدثت كلماتها الحازمة الأثر المطلوب اذ امتثلت جوفيتا لطلبها وغادرت الحمام بالرغم من القلق البادي على وجهها. أغلقت سوريل الباب بعد خروجها ثم نزعت الرداء ونزلت الى المغطس مخترقة الفقاقيع المتألقة.
ازدحمت الرغوة حولها وانعش الماء الدافىء جلدها الرطب. ألقت نظرة جانبية على المرايا فلم تر من جسمها سوى كتفيها العاريتين وعنقها الطويل ووجهها المحاط بشعر لاصق مبلل. كان هناك خرطوم ومرشة من الكروم فاستعانت بالمرشة على غسل شعرها بالشامبو.
جففت جسمها بسرعة ونفضت شعرها الناشف جزئياً ثم لبست الرداء المقصب ودخلت غرفة النوم. هذه الليلة يجب ان تقوم بمحاولة هرب اخرى، قبل ان تواجه مصارع الثيران مجدداً. لقد استطاع ان يعذبها في الساعتين الاخيرتين، والله وحده يعلم ما يخبىء لها في الجولة الثانية، ولذا يجب ان ترحل قبل ان تبدأ.
وفي غرفة النوم وجدت جوفيتا تنتظرها بصبر، فسألتها بسرعة:
- اين ثيابي؟
- اخذتها لتغسل. كانت مغمسة بالماء ولا يمكنك ارتداؤها.
- لكن لا استطيع ان البس هذا طوال الوقت. انه واسع جداً. انظري.
بيّنت لها الفتحة الواسعة على صدرها وتابعت:
- تركت حقيبتي في الشاحنة وهي تحوي ثياباً اخرى. هل لك ان تحضريها لي من فضلك؟
هزت جوفيتا رأسها نفياً وقالت:

- لا علم لي بأية حقيبة. تعالي سنيوريتا واجلسي هنا امام المرآة لاجفف شعرك واسرحه.
تمالكت سوريل أعصابها وجلست على الكرسي المبطن أمام طاولة الزينة. خطر لها انها قد تحصل من المرأة على تعاون اكبر ان هي طاوعتها، وهكذا راحت ترقب انعكاس يديها المجعدتين وهما تفركان شعرها بالمنشفة. هنا كانت تجلس انيز ونساء عديدات من قبلها... وفجأة احست بغيرة عنيفة غير معقولة فعبست متوجعة. بدا الاهتمام على وجه العجوز الشبيه بوجه قرد حزين وسألتها:
- هل آلمتك سنيوريتا؟
- لا. كنت اتساءل فقط عن صاحبة هذه الغرفة.
- كانت تخص السنيورا.
- سنيورا انيز؟
- كلا، السنيورا جوان زوجة السنيور رودريغو، والدة السنيور خوان. لطالما جففت لها شعرها كما افعل الآن معك. كانت طويلة، شقراء الشعر ذهبية البشرة، عطوفة وذات ابتسامة دائمة. كانت تركب الخيول كما الرجل وتصارع الثيران ايضاً. جميعنا بكيناها كالاطفال عندما قتلت.
- قتلت؟ كيف؟
- كانت تروّض حصاناً لكنه القاها ارضاً فكسر عنقها.
- يا للفظاعة!
- اجل. السنيور رودريغو اصيب وقتها بصدمة هائلة لم يشف منها ابداً. كان يكبرها كثيراً بالسن، بحوالى عشرين عاماً، وقد تزوجا متأخرين، اي عندما تقاعد هو عن مصارعة الثيران. ابتاعا معاً هذه المزرعة وانصرفا الى تربية الثيران الصغيرة الصالحة للمصارعة. كانت عائلة السنيورا جوان تملك مزرعة كبيرة في كاليفورنيا ولذا تعلمت الكثير في ادارة المزارع. والآن، هل افرشي شعرك ليبدو لامعاً كالحرير؟
ضربات الفرشاة اللطيفة والطويلة اراحت اعصاب سوريل فاسترخت على الرغم منها مستمتعة بما يحيط بها من ترف غير معتاد، واحست برغبة في معرفة المزيد عن عائلة رينالدا الساحرة فسألت العجوز:
- منذ كم تعملين هنا يا جوفيتا؟

- منذ ولادة السنيور خوان. جئت كمربية خاصة له. كنت احممه، البسه ثيابه، آخذه في نزهات وأضعه في الفراش. فعلت الشيء نفسه مع اخيه الاصغر. وبعد مقتل السيدة جوان بقيت لأساعد السنيور رودريغو الذي وقع فريسة مرض شديد والى ان توفي قبل سبع سنوات. بعد ذلك ذهبت لاعيش مع اختي في ايبارا، لكن عندما اصيب السنيور خوان في تلك المصارعة الاخيرة، رجعت لاعتني به. شفاؤه استغرق وقتاً طويلاً، وبعد ان التأمت جراحه تغيرت طباعه.

هزت العجوز رأسها الشائب بحزن فسألتها سوريل:

- كيف تغيرت؟

- بدا الأمر كأن خوان ريتالدا الذي كنا نعرفه جيداً، قد مات فجأة وان روحاً اخرى احتلت جسمه. لقد فقد حماسته السابقة. ورفض ان يرى اياً من اصدقائه القدامى، والتزم المزرعة طوال الوقت.

- اتظنين انه فقد شجاعته؟

- على مصارعة الثيران؟ لا اظن ذلك لأنه استمر يصارعها هنا ليعلم بيدرو، وبعض الشبان الأخرين، كيف يصبحون مصارعين. لكن انعزاله عن الناس والعالم اساء كثيراً الى نفسيته، وقد فرحت جداً عندما جاء السنيور كورنيس واقنعه بان يرافقه لحضور افتتاح مركز جديد للتزلج. ومن حينها، بدأ يمارس هذه الرياضة بكثرة، والآن عاد اليه اهتمامه بالمصارعة.

امسكت بثنايا شعر سوريل الكثيفة وسألتها وهي تلفها على رأسها كالتاج:

- اتحبين ان اسرح شعرك هكذا؟ كثيراً ما كنت اسرح شعر السنيورا انيز بهذه الطريقة.

فاجابت سوريل بحدة:

- كلا، شكراً!

فمع ان هذه التسريحة العالية تضفي عليها اناقة رصينة الأ ان معرفتها بان انيز كانت تصفف شعرها هكذا جعلتها تنفر منها بشدة. وتابعت بصوت الطف:

- احبه ان ينسدل طويلاً مع فرق في الوسط.

صففته جوفيتا كما طلبت، وقالت:

- والآن، هل انت مستعدة لتناول العشاء مع السنيور خوان؟

- ليس تماماً، اريد الاتيان بحقيبتي من الشاحنة. لا يمكنني الجلوس معه بهذا الشكل.

تخيلت ما سيكون عليه الوضع اذا جلست قبالة خوان وراحت نظراته الثاقبة تتلكأ على كل ما تكشفه فتحة الرداء الواسعة، واردفت:

- يجب ان ارتدي لباساً لائقاً قبل مشاركته العشاء. يمكنك ان تنقلي اليه كلامي اذا شئت.

فومض في عيني العجوز بريق مرح حليم لكنها لم تقل شيئاً. وهنا استدارت سوريل اليها وقالت متوسلة:

- ارجوك، يا جوفيتا، اطلبي الى السنيور خوان ان يحضر لي حقيبتي من الشاحنة. لقد تركتها على المقعد وهو يعرف شكلها.

فاومات جوفيتا وغادرت الغرفة، فيما اخذت سوريل تتجول فيها. فتحت الخزانات فوجدتها خالية من الثياب كذلك لم تجد شيئاً في ادراج طاولة الزينة ولا في ادراج الخزانة المرافقة لها والمصنوعة مثلها من خشب الورد. ليس هناك اثر للمرأة التي احتلت الغرفة حتى صباح اليوم، مما حملها على الاقتناع التدريجي بان انيز لم تستعملها ابداً. ولسبب غريب ما، ارتاحت بعض الشيء انما ظلت توجس شراً من ان يكون خوان قد اختارها لتحتل مكان امرأة اخرى. جلست امام المرآة تتفحص مظهرها بعين ناقدة. الفتحة المخملية السوداء تبرز جلدها الناعم بلون الكريم، وشعرها المسرح النظيف يشع كما الياقوت في اضواء الغرفة الخافتة. صوت عند الباب جعلها تستدير بتحفز لكنها رأت جوفيتا تعود بصينية محملة باطباق طعام، وضعتها امام سوريل على طاولة الزينة وقالت:

- جئتك بالعشاء لكونك تخجلين من الظهور في غرفة الطعام في هذا الرداء. لديك يخنة بلحم العجل. قليل من سلطة الافوكاته، وبعض فطائر السكر وكوب من عصير المنغا. كلي جيداً سنيوريتا.

تفهم المربية العجوز اشعر سوريل بود نحوها فشكرتها بمحبة وبدا الطعام شهياً برائحته وشكله. لكن جوفيتا كانت ستخرج بدون ان تذكر الحقيبة، فاستوقفتها سوريل قائلة:

- لحظة من فضلك. الم تسألي عن حقيبتي؟

- لم اقدر ان آتيك بها، فشخص ما اخذ الشاحنة مع الحقيبة لكن السنيور خوان قال انه سيسلمك اياها غداً. الآن تناولي طعامك اللذيذ وساعود لاحقاً لآخذ الصينية.

اذن، هو لن يدعها تسترجع ثيابها. عصفت الظنون برأسها وهي تأكل الطعام الشهي، وقررت ان تطلب الى جوفيتا ان تأخذها الى خوان رينالدا كي تحسم الموضوع نهائياً، لكن حين عادت جوفيتا وطلبت اليها ذلك هزت المرأة رأسها وقالت:

- آسفة، سنيوريتا. فالسنيور خوان خارج البيت.

تقدمت من السرير، فأزاحت غطاءه الدمقسي وطوته باتقان وقالت:

- يمكنك ان تنامي وقتما تشائين. أتوقع ان يأتي السنيور خوان لرؤيتك حين يعود. هل تريدين شيئاً آخر لاجلبه لك؟

القت سوريل نظرة سريعة ومرتبكة على السرير وقالت متلعثمة:

- انا. . . لا، شكراً هل تعلمين موعد عودته؟

- كلا. لم يعلمني به.

- اتعرفين اين ذهب؟

- لا. سأذهب الآن اذا سمحت. تصبحين على خير.

- وانت أيضاً.

بعد خروج المربية، جلست سوريل تفكر كيف ان محاولتها الثانية للهرب من المزرعة قد فشلت قبل ان تبدأ حتى بتنفيذها. فهي بدون ثياب مناسبة لا يمكنها ان تقطع رحلة عشوائية في الريف، وحتى لو استطاعت الوصول الى ابيارا فليس لديها مال ولا اوراق من اي نوع تثبت هويتها. كلها كانت في حقيبة يدها التي بقيت في الشاحنة مع الحقيبة الاخرى. وفيما هي جالسة تفكر احست فجأة بالصمت المخيم على البيت. اين يمكنها ان تجد بعض الثياب؟ برقت الخاطرة في ذهنها وجعلتها تستقيم في جلستها. وجاءها الجواب بسرعة. ستجدها في غرفة خوان. . . قميص وبنطلون يخصانه لكن يجب اولاً ان تجد غرفته. نهضت وسارت الى الباب. ادارت المقبض وجذبته لكن الباب ظل مغلقاً بعناد. عادت تجذبه مرة تلو المرة لظنها انه يحتاج قوة اكبر لفتحه حتى تأكدت اخيراً انه مقفل من الخارج. انحنت بسرعة ونظرت من ثقبه. لم يكن فيه مفتاح!

قفز الغضب منها كألسنة اللهب واضطرت الى التعبير عنه باحتجاج عنيف. . . طرحت نفسها على الباب وراحت تطرق خشبه بقبضتيها وتزعق باعلى صوتها، حتى تقطعت انفاسها. ثم الصقت اذنها بالثقب علها تسمع وقع اقدام في الممر لكنها سمعت فقط ضربات قلبها المذعور. استدارت تبحث في الغرفة عن طريقة للهرب. سارت الى النافذتين وازاحت الستائر الشفافة جانباً. كانت النافذتان ضيقتين ووراءهما فتحتان عميقتان. نظرت من خلال الزجاج فاستطاعت ان تميز أشكال قضبان حديدية تغطيها من الخارج. حتى لو استطاعت فتح احدى النافذتين فلن تتمكن من اختراق تلك القضبان التي تجعل الغرفة أشبه بزنزانة سجن.

اطلقت هتاف خيبة وغضب ومشت بعزم الى الحمام. ليس فيه نافذة انما يوجد باب آخر. سارت اليه تدير قبضته وتجذبها. . . بقي مغلقاً ايضاً ولم تجد مفتاحاً في ثقبه. لعنة الله عليه! لقد نفذ ما هدد بفعله: اخذ ثيابها المبتلة والجافة التي في الحقيبة، وسجنها في غرفة ليس فيها اي منفذ للهرب. لا بد انه مجنون! لا يمكن ان يكون هناك تعليل آخر لتصرفه الغريب هذا. الم تقل جوفيتا ان خوان رينالدا الحقيقي قد مات، وان روحاً اخرى احتلت جسمه بعد تلك المصارعة التي انتهت بجراح بالغة؟ هل هذه طريقة اخرى للقول انه بات مخبولاً؟

الساعة الأثرية الصغيرة على طاولة الزينة ارسلت طنيناً موسيقياً اعلمها ان الوقت بلغ العاشرة ليلاً. تثاءبت وتمطت. كان يوماً حافلاً والسرير المريح يدعوها اليه. نهضت واقفة حيث نزعت الرداء والقته على الكرسي ثم اندست بين الشراشف الحريرية الناعمة التي لامست جلدها برقة منعشة. اطفأت المصباح الكهربائي المجاور للسرير واستلقت في الظلام تشنف اذنيها وهي تأمل من جهة، وتخاف، من جهة اخرى، ان تسمع المفتاح يدار في القفل وترى الباب ينفتح بهدوء. هل سيأتي لرؤيتها لدى عودته؟ وماذا سيحدث عندما يأتي؟ طغى انفعالها على نعاسها، واذهلها الى حد الصدمة، حنينها اليائس الى مجيئه فأطلقت تأوهاً خفيضاً واستلقت على جنبها، ثم اغمضت عينيها بقوة وارغمت نفسها على النوم.

ايقظها انغلاق الباب وسرعان ما تبادر الى ذهنها ان خوان رينالدا قد رجع. تلاحقت خفقات قلبها واستلقت مغمضة العينين تتظاهر بالنوم

وتساءلت كيف سيوقظها. لكن شيئاً لم يحدث، ولم تسمع احداً يتحرك في ارجاء الغرفة، وسمعت فقط صوت ماء يتدفق في الحمام. فتحت عينيها واستوت جالسة وهي تلصق الاغطية بجسمها. الوقت صباحاً وليس في الغرفة احد. الرداء المقصب اختفى عن الكرسي حيث وضعته مساء امس ورأت حقيبتها تحتل مكانه. من وضعها هنا؟ جوفيتا؟ غادرت السرير بسرعة متعثرة وركضت الى الباب. ادارت المقبض وجذبته فانفتح الباب بسهولة ورأت المفتاح في ثقب القفل الداخلي. القت نظرة سريعة على الممر فوجدته خالياً ومتشحاً بأشعة الشمس الصباحية المتسربة اليه من نافذة في نهايته.

اغلقت الباب ثم سارت الى حقيبتها الجلدية وفتحت سحابها. وفي بضع دقائق كانت ترتدي التنورة الصيفية الاخرى والبلوزة البيضاء اللتين جلبتهما معها. مشت الى حيث الحمام ودقت بابه المغلق بقبضتها، وحين لم تسمع جواباً فتحته ودخلت لترى مراياه مغطاة بطبقة خفيفة من البخار، والماء يتساقط من مرشة الدوش، كما رأت بابه الآخر منفرجاً قليلاً. شعرت بشيء يغريها على الاستقصاء فتقدمت صوب الباب وفتحته اكثر فاذ بها تطل على غرفة رائعة الاثاث والتصميم جعلت عينيها تتسعان دهشة واعجاباً. هنا أيضاً يطغى اللون القرمزي والعاجي، فيما اللمسات السوداء اختيرت خصيصاً لتحدث جواً خيالي الروعة في معتزل ذكري محض. كان خوان رينالدا يرتدي فقط بنطلوناً أسود ضيق الردفين وهو يقف امام خزانة عريضة وطويلة تصل السقف، يختار قميصاً من مجموعة القمصان المعلقة فيها. انتقى واحداً واستدار ناحيتها فوقع بصره عليها وهي تتلكأ على العتبة. القى القميص على السرير المشوش الاغطية وتقدم منها قائلا:

- صباح الخير يا سوريل. هل لديك شيء تودين قوله؟ ألهذا جئت باكراً الى غرفتي؟

- آسفة، لم ادر اطلاقاً ان هذه الغرفة تخصك. وجدت الباب مفتوحاً، وخطر لي...

توقفت عن الكلام اذ تذكرت فجأة ان الباب كان مقفلاً ليلة امس، فشمخت بأنفها واضافت بحدة:

- عليك ان تفسر اشياء كثيرة يا سنيور رينالدا!

- احقاً؟ ماذا تريدينني ان افسر؟

- تصرفك ليلة امس.

التمعت عيناه ببريق غريب... خطا حولها فاستدارت لتهرب انما تأخرت كثيراً اذ كان قد اغلق الباب المؤدي الى الحمام وارتكز عليه يحدق اليها بعينيه الصافيتين القاسيتين وقال متمهلاً، وهو يعبس قليلا وكأنه يجد صعوبة في التذكر:

- ليلة امس... آه، تذكرت... جئت البيت متأخراً وكنت نائمة.

ازاح ظهره عن الباب ورفع يده الى خدها فارتدت بسرعة الى خلف وسقطت ذراعه على جنبه... تابع يقول برقة:

- كم تبدين جميلة وانت نائمة، كتمثال صغير من العاج، لكن قلبي لم يطاوعني على ازعاجك. هل انت متكدرة لأنني لم أوقظك؟

- كلا! اريدك ان تخبرني لماذا اقفلت علي غرفة النوم، ولماذا لم تدعني احصل على حقيبتي؟

فقال وهو يصطنع دهشة بريئة جعلتها ترغب في لبطه:

- اكان الباب مقفلاً؟ اني اعتذر وأرجوك ان تقبلي اعتذاري.

تقدم منها ثانية فتراجعت الى خلف، وعاد يتقدم بسرعة وكأنه يمارس رقصة غزلية وتابع يقول:

- لا بد ان جوفيتا أقفلت الباب قبل ان تغادر البيت، اذ لم يرق لها على الارجح ان تترك شابة مثلك بلا شخص يؤنس وحدتها ويحميها.

فزعقت فيه وهي تلبط الارض بقدمها:

- اوه، هذا هراء! اذا كانت جوفيتا أقفلت الباب فقد فعلت ذلك بناء على تعليماتك.

- وما الذي يحدوني الى فعل شيء كهذا؟

- لتمنعني من مغادرة البيت اثناء غيابك.

فقال معلقاً بجفاف:

- اذن كنت مصيباً في تخميني. كنت تزمعين الهرب ثانية. لماذا؟

ردت بصوت كالفحيح:

- طالما انك حزرت نيتي فبوسعك ايضاً ان تحزر السبب! لم اشأ ان ابقى

في بيت رجل ينظر الى النساء وكانهن. . . كأنهن ادوات تسلية صممت خصيصاً لامتاعه! انا فتاة حرة التصرفات، اروح واجيء حيثما ومتى اشاء. لقد قصدتك لأطلب مساعدتك على انقاذ زواج سينهار، وبدل ان تساعدني رحت تعاملني كما. . .

قطعت عبارتها حين جذب بصرها باب الغرفة المؤدي الى الرواق وهو يفتح ببطء، ثم ظهرت جوفيتا تحمل صينية عليها طقم قهوة فضي، وقالت:

- صباح الخير سنيور خوان. لم اجد السنيوريتا في الغرفة الاخرى فجئت بالقهوة الى هنا.

انتقلت عيناها السوداوان الى سوريل، التي سارعت الى تغطية خديها الملتهبين بكفيها، واردفت:

- صباح الخير سنيوريتا. ارجو ان تكوني استمتعت بنوم مريح.

وضعت الصينية على طاولة تتوسط الغرفة وخرجت بهدوء فهتفت سوريل على الفور:

- اوه! اية افكار بشعة ستراودها عني!

فسألها خوان وهو يشرع في سكب القهوة:

- من؟ جوفيتا؟ هل يهمك ما تظنه فيك؟

- اجل يهمني. لا اريدها ان تظن بي شيئاً انا بريئة منه.

فحدجها بنظرة غاضبة وهتف:

- يا الهي! لماذا تصرين دائماً على تعقيد الامور الى هذا الحد؟ ما هو الشيء الذي انت بريئة منه، وتخشين ان تتهمك به جوفيتا؟

- انا لست بديلة للمرأة التي رحلت يوم امس. لم آت هنا لاصبح رفيقتك التالية.

وفوجئت به يلقي ابريق القهوة بعنف على الصينية وحيث تسبب عن ذلك وقوع فنجان وانسكاب محتوياته على السجادة، ثم رأته ينتصب امامها مكفهر الوجه ثائر العينين مما جعلها تتراجع الى خلف وهو يسألها:

- عما تتحدثين بحق السماء؟

- قصدت انيز. المرأة التي كانت هنا. قلت انها ليست زوجتك، اذن لا بد انها رفيقتك.

فراحت شفتاه المتقلصتان تطلقان سباباً عنيفاً جعلها تسد اذنيها بكفيها حتى انتهى منه، ثم قال من بين اسنانه:

- ماذا قالت لك تلك الشيطانة الصغيرة حتى جعلتك تظنين انها كذلك؟ انيز هي شقيقتي، ومولعة بالعبث واحداث القلاقل. لقد تركت زوجها قبل بضعة اشهر وركضت اليّ تشكو قسوته عليها. نصحتها بالبقاء هنا ليتها تجد حلاً لمشكلتها ويبدو أنها توصلت الى ذلك الحل. لكن اقسم بالله انني ساعاقبها حالما اراها ثانية. سوف ادق عنقها لأنها قالت لك ذلك. . .

اذعرها غضبه فقاطعته بسرعة:

- كلا، لا يجب ان تلومها فالذنب لم يكن ذنبها، هي لم تقل شيئاً، انما بانشو قال شيئاً جعلني اخطىء في ظني و. . .

فسألها بصوت مرعب:

- وماذا قال بانشو؟

- حسبني من الولايات المتحدة فسألني ان كنت صديقة للسنيورا. افترضت انه يقصد زوجتك، وحين استقبلتني اختك، جزمت بانها السنيورا رينالدا. . . كانت تلبس خاتم زواج ولم تعرفني باسمها، كذلك قالت انها سترحل لانها ما عادت تطيق العيش معك.

ضاقت عيناه بارتياب، ثم جعر قائلا:

- كان الشعور مشتركاً!

- كانت تتكلم الانكليزية مثلك، بلهجة اميركية شمالية.

فرد قائلا:

- لانها تعلمت اللغة من المصدر نفسه، من امنا الاميركية في كاليفورنيا. حسناً، فهمت لماذا سهل عليك الافتراض بأنها زوجتي، انما ما الذي جعلك تفترضين انها كانت رفيقتي؟

- حين اخبرتني انها ليست زوجتك خطر لي. . . خطر. . .

خفضت بصرها هرباً من نظرته المتهمة وارتج عليها، فقال بالنيابة عنها:

- افترضت مجدداً وبنيت افتراضاتك، حتماً، على المعلومات التي اخذتها من رامون انهل، او ربما من زوجته، تلك الغبية.

قالت بجمود:

- آسفة.
وقف امامها بلا حراك، وكان قريباً الى حد سمعت فيه دقات قلبه المنتظمة، ورأت العرق النابض في فجوة عنقه واشتمت رائحة الصابون المعطر الذي يستعمله.
وقال اخيراً:
- الآن بدأت افهم سبب غضبك يوم امس. لم ترق لك فكرة احتلالك لمكان امرأة اخرى، بعد رحيلها مباشرة.
فاقرت بصراحة:
- لا، لم ترق لي.
- اني اتفهم ذلك. لكن ما دمنا قد وضحنا هذه النقطة، فهل لنا الآن ان نبدأ من البداية؟ هل تبقين وتسكنين معي يا سوريل؟
فبدأت تقول:
- انا. . .
ثم امحى صوتها حين احاط وجهها بيديه فسألته بحذر:
- ما الذي تنوي فعله؟
- احس برغبة جارفة في عناقك. انها تتملكني في الصباح، عندما اراك منتعشة ومتألقة بعد نهوضك من النوم. لهذا اريدك ان تعيشي معي، لاستطيع عناقك كل صباح.
فقالت وهي تحاول التملص منه:
- لكن لا يحق لك ان تعانقني ان كنت لا ارغب في ذلك.
انزلقت يداه الى عنقها وقال مغمغماً:
- او، سوريل كيف يمكنك ان تحدثني عن الحقوق؟ ان ما يحدث بيني وبينك لهو فوق كل نقاش بارد كهذا.
حاولت ان تتجاهل المشاعر التي بدأت تنبض في عروقها واحتجت تقول باهتزاز:
- لا شيء يحدث بيننا. لا شيء! لن ادعه يحدث. الا تقدر ان تفهم؟ هل غرورك هو الذي يعميك عن رؤية الحقيقة؟ انا لست من ذلك النوع الذي يؤيد اقامة علاقات مع رجال بالكاد يعرفهم. انا لا اريدك لأني لا احبك، ومن دون الحب لا استطيع. . .

اسكنها بعناقه، ومع ذلك قاومته بشدة وبقيت تحاول الافلات حتى سجنها تماماً بين ذراعيه القويتين فبدأت تحس بقلبها يرتعش كطائر خائف، سمعته يتنهد متأوهاً فاخفت وجهها في عنقه.
ثم رفع رأسه فجأة فاحست بحركته وفتحت عينيها لترى تعبيراً غامضاً في وجهه الاسمر وسمعته يقول بسخرية لاذعة:
- هل قلت قبل قليل انك لا تريدينني؟ اظن انني برهنت الآن عكس ذلك. هراء كان تظاهرك باللامبالاة! فانت تريدينني بمقدار ما اريدك، وهذا الصباح مناسب مثل اي وقت آخر.
- كلا!
كان الخجل والغضب يلسعانها لان قلبها الغبي غدر بها، تملصت من بين ذراعيه ثم رفعت يدها وهوت بكفها على وجهه في صفعة عنيفة بدت ذات صدى تردد في سكون الغرفة. تراجع الى الوراء رافعاً احدى يديه الى خده، فاغتنمت فرصة اندهاشه وركضت الى الحمام تجمع أدوات زينتها ثم عادت الى الغرفة التي نامت فيها، فأغلقت الباب وأدارت المفتاح في القفل. لا وقت لديها لتخطيط الخطوة التالية وينبغي ان ترحل فوراً قبل ان يجد خوان وقتاً للحاق بها ولاستعمال قوته الفائقة في ارغامها على الرضوخ له. حتى لو استطاعت بلوغ الفناء ستكون، على الاقل، خارج البيت وسوف تجد من يسمعها اذا صرخت تطلب النجدة.
جمعت الاغراض التي تناثرت من حقيبة يدها حين سقطت من يدها، ودست كل شيء في الحقيبة الجلدية ثم غادرت الغرفة مهرولة. تنفست الصعداء لما وجدت الممر خالياً، وتوجهت منه الى البهو لتقطعه بخطوات واسعة عفوية المظهر. فتحت الباب الامامي وخرجت حيث الهواء رطباً دافئاً، وسرعان ما وقع بصرها على الشاحنة ذات اللونين الابيض والاحمر. رأت غطاء محركها مرفوعاً وكان بانشو ينحني على المحرك يصلح شيئاً ما. سارت الى حيث يقف وقالت:
- صباح الخير يا بانشو. هل ستذهب الى ايبارا هذا الصباح؟
فاستقام في وقفته وابتسم لها مرحباً وهو يمسح يديه المزيتتين بخرقة ثم اغلق غطاء المحرك وقال:
- صباح الخير سنيوريتا، هذا الصباح سأمضي الى ابعد من ايبارا،

سأذهب الى كوبايا لحضور المهرجان.

- اين تقع كوبايا؟

- ليست بعيدة من هنا، حوالى ثلاثين كيلومتراً. انها مدينة صغيرة على ضفة نهر جميل. مناخها ادفأ من مناخنا وفيها بيوت عتيقة ساحرة. اما بالنسبة الى نسائها. . .

وهنا غرب عينيه ولثم اصابع يده التي ضمها الى بعضها البعض وتابع:

- انهن أجمل نساء كولومبيا واكثرهن وداً وعاطفة. في مثل هذا الوقت من كل عام تفتتح كوبايا مهرجاناتها الشتوية وحيث تقام استعراضات دينية من كل الانواع، ويرقص الناس في الشوارع، وبالطبع تقام ايضاً مصارعة ثيران.

كوبايا. لقد سمعت عائلة ابتهل تتحدث عنها وبما انها مركز سياحي معروف، فلا بد ان فيها مطاراً يؤمن رحلات منتظمة الى ميدلين وبوغوتا. وعادت تسأل بانشو:

- متى ستنطلق؟

- في اسرع وقت ممكن فلقد سبقتنا الشاحنة الكبيرة المحملة بالثيران.

- اذن سآتي معك.

اتسعت ابتسامته واجاب:

- يسرني ذلك، اصعدي من فضلك، هناك متسع لك.

استغربت ان تحظى سريعاً بهذا الانقاذ وشكرت الله على ذلك. صعدت الى الشاحنة واغلقت الباب الى جانبها. بدا بانشو غير مستعجل على الانضمام اليها اذ سمعته يصفر لحناً طروبا وهو يتشاغل باصلاح شيء في مؤخرة السيارة.

ثم توقف الصفير وسمعته يتكلم. . . احست توتراً يزحف في اعصابها ثم انفتح الباب الى جانبها فنظرت بحذر من طرف عينيها لترى خوان يقف هناك وقد ارتدى كامل ثيابه. قميص مموج من الحرير القرمزي تحت سترة قصيرة مفتوحة الازرار من القماش الاسود وعلى رأسه قبعة عريضة الاطراف خفيضة العلو. كانت عيناه الغاضبتان ترمقانها ببريق شرير لكنه قال لها بصوت ناعم كالمخمل:

- افسحي لي مكاناً من فضلك.

- المعذرة؟

حيرها طلبه اذ توقعت ان يأمرها بمغادرة الشاحنة، فأجابها بفظاظة:

- لقد سمعتني. افسحي لي مكاناً كي اجلس الى جانبك. انا ذاهب ايضاً الى كوبايا للاشتراك في المصارعة. يدهشني انما يسرني، انك تريدين مرافقتنا لتريني اصارع الثيران.

فاستدارت سوريل بسرعة كي تمر من تحت المقود وتقفز من الباب الآخر، لكن بانشو كان قد استقر في مقعد القيادة. استدارت يميناً، كحيوان سجين، لتجد خوان قد اخذ مكانه الى جوارها، وراح يزيحها الى الوسط بحركة خشنة. ثم صفق الباب، وادار بانشو المحرك فاهتزت الشاحنة وانطلقت قدماً في اتجاه المدخل المقنطر.

٥ - باقة الأوركيديا



قاد بانشو الشاحنة على الدرب المنحدر وانعطف على الطريق العام محدثاً زعيقاً رهيباً في الدواليب ، وهو يسوق بسرعته المعتادة المجنونة ويكلم خوان بانفعال حول المصارعة الوشيكة . كانت سوريل تجلس كعمود بين الرجلين ، تحدق الى الطريق أمامها وذهنها منشغل بمشكلة اخرى ، كيف ستخرج من المصيدة الجديدة التي أوقعها فيها خوان رينالدا ؟ استمر بانشو يثرثر ويسأل ويعلق لكن خوان اكتفى بالاجابة على كل ذلك بهمهمات لم تشف غليله جعلاه يكف عن الكلام وينتقل الى الصفير . استرقت سوريل نظرة جانبية الى خوان فوجدته ملقياً رأسه على ظهر المقعد ومغطياً عينيه بطرف قبعته العريضة وكأنه نائم . قفزت بهم الشاحنة قليلاً حين اصطدمت بنتوء على الطريق فلعقت سوريل شفتيها الجافتين وأحست

غثياناً يجيش في معدتها ، وهنا تذكرت أنها ما اكلت ولا شربت شيئاً ذلك الصباح .

في شارع ايبارا الرئيسي والوحيد ، رأت نساء هنديات يرتدين تنانير طويلة وعباءات مخططة ، وقبعات مائلة عريضة الأطراف عالية التيجان ، ويحملن على أذرعهن سلالاً وهن يصعدن الباص المهترىء الشكل الذي استقلته يوم امس من مانيسالاس .

وفجأة قفزت الى ذهن سوريل خاطرة جديدة ، فمالت صوب بانشو وهمست له :

ـ هل لك أن تقف هنا وتدعني انزل ؟

فرمقها بنظرة جانبية مرتابة ، ولما عاد ينظر الى الطريق اطلق شتيمة حارة وهو يدير المقود بعنف ليتحاشى دعس ولد كان قد اندفع من بيته راكضاً الى الطريق . هذه الحركة جعلت الشاحنة تتمايل بقوة وتطرح سوريل على خوان الذي هب جالساً ثم دفعها عنه وسأل بحدة :

ـ ماذا حدث ؟

فأجابه بانشو بفيض من اللغة الاسبانية الرشيقة ووضع كل اللوم على سوريل . ثم انطلقت الشاحنة من جديد تقعقع على الحصى والحفر ، وأصبحت ايبارا خلفهم . وسألها خوان بالانكليزية كيلا يفهم بانشو حديثهما :

ـ لِمَ اردت الترجل من الشاحنة ؟

ـ اشعر بالجوع والعطش وبشيء من الغثيان .

عادت الى جلستها المتشنجة السابقة وهي تحس تعاسة شديدة من جراء فشل خطتها الصغيرة للهرب الى مانيسالاس بواسطة الباص ، والحق الأكبر على بانشو الذي يدين بكل ولائه لسيده ، مثل جوفينا تماماً . وأجابها خوان :

ـ ستأكلين عندما نصل كوبايا . يوجد مطعم في مركز المصارعة . أنا ايضاً لم اتناول فطوري اذ انشغلنا بشيء آخر الهانا عن الطعام ، ان كنت تتذكرين .

ـ لن اذهب الى المدرج . لا أريد أن اشاهد مصارعة ثيران .

ـ اذن لماذا تركبين هذه الشاحنة المهدمة ؟

ـ حسبت أن بانشو سيوصلني الى كوبايا حيث يمكنني السفر الى ميدلين . لم ادر انك ستأتي ايضاً . ظننت أنك تخليت نهائياً عن احتراف المصارعة .

ـ تخليت عنها لفترة . لكن مؤخراً ، بدأت اتضايق من الآراء القائلة بأني فقدت شجاعتي بعد تلك المصارعة الأخيرة ، وهكذا ، عندما جاءني متعهد المصارعات المحلية وطلب الي أن اصارع في افتتاح مهرجان كوبايا وافقت على طلبه ، فهذه فرصتي لأثبت اثباتاً قاطعاً بأني لست جباناً .

كان يتكلم بمرارة ثم اطلق ضحكة قصيرة متهكمة وتابع يقول :

ـ خلال العامين المنصرمين بدأت نسبة الحضور تخف في حلبة كوبايا . لم تعد هناك اثارات ومنافسات عنيفة تشبع نهم المعجبين الجائعين الى الاثارة . لكن اليوم سيكون هناك جمهور كبير يتعطش الى رؤية « الشجاع » يعود الى الحلبة . هؤلاء الناس سيأملون الى حد ما ، أن يروا بطلهم يتمزق كما تمزق في مصارعته الأخيرة في مانيسالاس قبل عامين تقريباً .

ـ اوه ، كلا !

انطلقت هذه الصرخة من عمق قلبها فتوقف بانشو عن الصفير والتفت اليها متجفلاً ثم سمعته يسأل عما حصل . أجابه الآخر مهدئاً من روعه فعاد الشاب الى صفيره المرح . اندفعت تسأل خوان بلهفة وقد نسيت للحظة همومها الخاصة :

ـ أأنت مصمم على المصارعة ؟

استدار نحوها متعجباً وقال هازئاً :

ـ لا تقولي انك قلقة بالفعل .

ـ اجل ، انا كذلك .

فالتوى فمه باحتقار وأجاب :

ـ قلقة على الثور بالطبع .

ـ لا ، قلقة عليك انت . فقد . . . فقد يخرق لحمك ثانية ويفترسك المرض كما حدث في المرة الأخيرة .

هز كتفيه وأشاح عنها ينظر الى يمينه من فتحة النافذة ثم تمتم بلا اكتراث :

ـ وماذا يهم ؟ ان ذلك جزء من اللعبة ، فالثور يفوز احياناً .

فهتفت بحماسة ولهفة :

ـ لكن . . . لكن جوفيتا قالت انك كدت تموت آنذاك . اوه ، ارجوك يا خوان ألاّ تدخل الحلبة هذا اليوم .

فأجاب بصوت بارد وقاس :

ـ البرنامج قد تقرر ولا بدّ لي من الاشتراك .

ـ من الجائز أن تقتل .

استدار اليها ليحدجها بنظرة ضيقة مزدرية وهمس بهزء :

ـ اذن يجب أن تفرحي .

فأجابت بصوت مرتجف :

ـ كيف يمكنك أن ترضى بذلك ؟ كيف تسمح لنفسك بأن تُستغل في ما لا يعدو كونه خدعة اعلانية لتحميس عدد اكبر من الناس على شراء التذاكر ؟ كيف يمكنك أن تدخل الحلبة وتتعمد اغراء الثور على أن ينطحك ويمزق لحمك ؟ كيف تقدر أن تعرض نفسك لهذا الخطر يا خوان ؟

وعلى حين غرة ، فاضت الدموع في عينيها ، وراحت تنتحب وهي لا تدري أن سبب بكائها هو عدم احتمالها فكرة تعرضه للأذى أو للموت بحد ذاته . ومن خلال دموعها الغائمة رأته يحدق اليها بعينين متسعتين من شدة الحيرة ، فأدركت للمرة الثانية كم هما متباعدان في مواقفهما ووجهات نظرهما . ثم رفع يده وبلمسة لطيفة من رأس اصبعه ، مسح دمعة تدحرجت على خدها ، وقال برقة :

ـ احتفظي بدموعك لتبكي على الثور اليوم عصراً ، اذ سيحتاجها حتماً .

خفض يده مشيحاً عنها بسرعة ثم سألها وهو ينظر خارج النافذة :

ـ لِمَ أردت الذهاب الى ميدلين ؟

ـ لأخبر مونيكا أنني فشلت في مهمتي وعجزت عن اقناعك بمقابلة رامون لتفهمه انكما بريئان من تلك العلاقة . لقد وعدتها بأن أعود اليوم لرؤيتها .

ـ وأين ستذهبين بعد ذلك ؟ هل سترجعين الى انكلترا ؟

ـ ربما . لست ادري .

أسندت ظهرها الى المقعد تمسح خديها المبللين بأصابعها وتتساءل عن سبب بكائها عليه . لماذا هذا الشعور القوي لديها ، تجاه اي شيء يفعله ، او فعله سابقاً ؟ لماذا يؤثر على عواطفها بطريقة لم يؤثر بها عليها اي انسان من قبل ، بطريقة تدفعها الى فعل وقول اشياء غريبة تماماً عن طبيعتها ؟ على الأقل ، غريبة تماماً عن الفتاة التي حاولت دائماً ان تكونها ، الفتاة الرابطة الجأش ، والخالية القلب .

هل تحبه ؟ اغمضت عينيها وارتخت كتفاها على ظهر المقعد . كلا ، لا يمكنها أن تحبه ، لا يجب ان تحبه .

فتحت عينيها فآذاها وهج الشمس الساطع ثم نظرت حولها فرأت المشاهد تتبدل وهم يهبطون سلسلة منعطفات قوية في اتجاه الوادي الذي يخترقه نهر عريض . الريف هنا اكثر خضرة وأكثف تشجيراً ، وبدأت تظهر للعيان ، بيوت ذات شرفات مظللة تتدلى من عليها متسلقات تتفتح براعمها بأجمل الألوان وازهاها . وبرغم ضجيج المحرك استطاعت سوريل أن تسمع بوضوح صوت الموسيقى وايقاع الطبول المنتظمة وألحان الزمارات الهندية العنيفة . وحين عبروا طريقاً جانبياً آخر لمحت اناساً مقنعين في ثياب عجيبة الأشكال والألوان كانوا يهتزون ويدورون في رقصة جماعية تتقدم الى شارع أوسع . ثم مروا على طريق جانبية ثالثة فرأت موكباً دينياً حافلاً يتميز بشموع مضاءة وباقات ضخمة من الزهور الحمراء والبيضاء . لدى بلوغهم مفترق الطرق التالي سلك بانشو درباً انحدارياً يخترق بيوتاً خفيضة ذات شرفات صغيرة ، ومروا بمجموعة من الأولاد يقومون باستعراض خاص بهم . في نهاية الدرب برزت الجدران العالية التي تحيط مدرجاً مستديراً وتحمل ملصقات مزركشة لماعة تعلن عن مصارعات الثيران .

قاد بانشو الشاحنة عبر بوابة عريضة ثم أوقفها الى جانب شاحنة كبيرة لنقل المواشي مكتوب عليها بالدهان ، مزرعة رينالدا . فتح خوان الباب وترجل ، وسرعان ما أحاط به الرجال الذين جاؤوا بالثيران . وحتى بانشو ترك الشاحنة وهرول راكضاً لينضم الى المجموعة المثرثرة بلهفة وانفعال .

وفكرت سوريل أن الفرصة سانحة لتنسحب بهدوء وبدون أن ينتبه لها احد . أمسكت حقيبتها ودفعت جسمها الى حافة المقعد لتقفز الى الأرض

لكنها فوجئت بخوان يسد طريقها ، وقال واضعاً يديه على ردفيه :

ـ المطعم فوقك مباشرة . لقد تأخر موعد الافطار وعساك لا تمانعين في تناول الغداء بدلاً منه . لا أريدك أن تصابي بالاغماء من جراء الجوع .

ترجلت من الشاحنة فبادر هو الى صفق الباب صارخاً ببعض التعليمات الى بانشو ، ثم أمسكها من كوعها وساقها على أرض الساحة المتوهجة بنور الشمس الحار ، وعبرا أبواب البناء الزجاجية الدوارة .

كانت طاولات المطعم مكسوة بأغطية ذات مربعات بيضاء وحمراء ، ومصفوفة بمحاذاة الجدران بين مقاعد منجدة مستطيلة ذات ظهور خشبية عالية . رأت اناساً كثيرين يتناولون وجبة الغداء وهم يضحكون ويتسامرون ، وبعض الرجال حيا خوان بصوت عال وهو يرسل نظرات جريئة وفضولية في اتجاه سوريل . جلسا الى طاولة منزوية حيث حجبهما المقعدان العاليا الظهر عن النظرات الحشرية . جاءتهما المضيفة التي بدا أنها تعرف خوان اذ راحت تثرثر معه بمرح وهي تسجل طلبه لشرحات لحم مشوية ، بطاطا حلوة وخضار . ثم أحضرت لهما فنجانين كبيرين من القهوة ورجعت الى المطبخ لتأتي بالطعام .

اخذت سوريل ترشف القهوة الساخنة وهي تحس توتراً متزايداً لوجودهما منفردين في عزلتهما النسبية . وفاجأها سائلاً اياها بالانكليزية :

ـ لماذا صفعتني ؟

اضطرت الى اجابته فغمغمت من دون ان تنظر اليه :

ـ لم يرق لي قولك انني ارغب فيك .

ـ لم تكن تلك الحقيقة.

ـ لمن اكن امثل دوراً.

ـ اذن كنت بارعة في تمثيل ذلك الدور . لقد خدعتني بالفعل وجعلتني اعتقد . . .

ـ وهل اغضبك ذكر الحقيقة؟

حدقت اليه غاضبة عبر الطاولة ، ثم ما لبثت أن شهقت وغطت فمها بكفها اذ ادركت انها قد ناقضت نفسها بنفسها . وحين رأته يبتسم ساخراً ، أردفت متأوهة :

ـ اوه ، الحق عليك ! أنت الذي ارغمتني .

ـ اذن أنا لست سوى وغد أسود القلب أجبرتك على عناقي ، لكن لم يكن بوسعي أن أثير فيك ذلك التجاوب لو لم تكن في داخلك شرارة تنتظر من ينفخ فيها .

زفر متضايقاً ومرر اصابعه في شعره ثم انتفض عضل في خده كما لو أنه يصر على أسنانه ليكبح عاطفة قوية تتأجج في كيانه ، وقال بصوت متقلص :

ـ والله أنت قاسية ، اتعلمين ذلك ؟ لو انك لم تصفعيني وتهربي ، لكنا أصبحنا حبيبين هذا الصباح .

صراحته المتناهية هزتها في الصميم ، فهمست :

ـ كلا ، كلا ، لم يكن ذلك ليحدث .

ـ بل كان سيحدث لأننا انجذبنا الى بعضنا البعض منذ لقائنا الأول ، لكنك ترفضين الاعتراف بهذا . انك ترفضين الانصياع لمشاعرك لأنك عندما تتوقفين لتفكري بعقلك تقررين بأنني لست من النوع الجدير بحبك . . . انت تتهمينني باللااخلاقية لأني لا اتصرف بالطرق التي تنسجم مع مبادئك الخلقية . . . تصفينني بالانحطاط لأني اصارع الثيران من أجل كسب عيشي . ثم تصفعينني لأني اشعر بانجذاب اليك .

حدجها بنظرة وقحة جارفة اجفلتها وتابع يقول :

ـ لقد غلطت هذا الصباح لأني اتحت لك مجالاً للتفكير . كان يجب أن أقفل فمي واحصل على ما عرضته علي ، حتى لو كان من دون حب .

آلمتها مرارته بشكل فاق احتمالها فصرخت تحتج بعنف :

ـ لم أعرض عليك شيئاً !

ـ هذا ما تقولينه باستمرار ولست مضطراً الى تصديقك .

جاءت المضيفة بطعامهما حيث وضعت الطبقين أمامهما وسكبت لهما مزيداً من القهوة ثم ابتعدت . شرع خوان يأكل على الفور ، فيما اخذت سوريل تراقبه بحسد . كانت ما تزال مذهلة من عنف هجومه ، اما هو ، فبدا أن عصبيته لم تؤثر بتاتاً على شهيته . في الأخير بدأت تأكل لعلمها بانها اذا لم تفعل فسوف تندم على ذلك في ما بعد .

امتد الصمت بينهما اثناء الطعام وزاد توتره ضجيج الأصوات المنبعثة من الطاولات الأخرى . أحست سوريل أنها تأكل تبنا لكنها أرغمت نفسها

على ازدراد اللقم الجافة وهي تفكر على الرغم منها في مصارعة الثيران الوشيكة وفي ما قد يحدث خلالها للرجل الجالس امامها . من الجائز أن يقتل ، اذن كيف يمكنها أن تفارقه غاضبة ؟ كيف يمكنها أن تدع علاقتهما القصيرة والحميمة تنتهي بكلمات جارحة ومرة ؟ عجزت عن اكمال طعامها . جرعت مزيداً من القهوة ثم نظرت اليه ومدت يدها نحوه وقالت بصوت اجش :

- خوان . . . يؤسفني أني لا أستطيع أن اكون ما تريدني أن اكون .

- كيف لك أن تعرفي ما أريدك أن تكونيه وأنت لم تدعيني اخبرك اياه ابداً ؟ لقد أمضيت الوقت القصير الذي قضيناه معاً تقفزين الى استنتاجات زائفة ، وتنسجين افتراضات مغلوطة عني وتحكمين علي بما يروق لك . ما الذي تحاولين فعله بحق السماء ؟ أن تعاقبيني على ذنب اقترفه رجل آخر بحقك ؟

لسعتها قسوته فردت باختصار :

- لا . انا لا اعاقبك .

نهضت واقفة على قدميها وقد نسيت رغبتها في أن تفارقه ودياً ، ثم اختطفت حقيبتها ودارت حول الطاولة لتجده يسد الطريق قائلاً :

- اين تظنين نفسك ذاهبة ؟

- الى المطار . سأبتعد عنك بقدر ما تسعفني المسافات .

توقف ازيز الكلام حولهما وأحست سوزيل بروؤس تستدير وبعيون تحدق اليهما معاً . دارت على عقبيها وبدأت تسير في اتجاه الباب لكن يد خوان امتدت بسرعة البرق لتقبض على ذراعها بشراسة مؤلمة ثم أجبرها على مواجهته . ومع أنها ذعرت من الغضب القافز من عينيه كنار باهتة ، الا أنها أحست حنقاً لاهباً لأنه جرؤ على لمسها في مكان عام وأمام جمهرة من الرجال الفضوليين ، وبينهم من شرع يبتسم ويطلق تعليقات وقحة ، فحاولت أن تنتزع ذراعها من قبضته ، وزعقت مهتاجة وخداها يلتهبان بالدم الذي تصاعد اليهما :

- كيف تجرؤ على لمسي !

فقرّب وجهه من محياها الى حد استطاعت معه أن ترى مسامات جلده وآثار القطب الخفيفة التي تحف بندبته ، وقال من بين اسنانه البيضاء

المطبقة :

- اسمعي ، انت التي قررت اللعب بخشونة حين كنا في المزرعة ولذا سأرد عليك بخشونة اكبر حتى أتمكن من ترويضك أيتها الثورة الصغيرة . من الأفضل أن تنسي الوعود التي قطعتها لمونيكا لأنك ستبقين هنا وستحضرين المصارعة هذا العصر .

تألق شعرها وتماوج وهي تهز رأسها بعنف وتقول :

- كلا . كلا . لا يمكنك أن ترغمني على حضورها ، لا يمكنك !

- بل استطيع وأنت ستكونين هناك وتحضرينها حتى النهاية ! ستكونين جالسة في مقصورة الرئيس ، مع المتعهد دييغو كورتيس وزوجته عندما انحني أمام الجمهور بعد أن أكون قتلت الثور . سوف تنتظرين هذا العصر حتى انهي مهمتي وبعد ذلك نذهب معاً لنعقد زواجنا أمام رجل الدين .

تغلبت دهشتها على خوفها وغضبها فرددت بهمسة مبحوحة :

- نعقد زواجنا ؟

- اجل . ما كان في نيتي أن أعرض عليك الزواج بهذه الطريقة أمام حشد من المتفرجين لكنك ارغمتني على كشف اوراقي بتصرفك السخيف العنيد . الآن صرت على علم بما أريدك أن تكونيه . أريدك أن تكوني زوجتي في السراء والضراء ، في الصحة والمرض . لا يمكنك حتماً أن تجدي في ذلك شيئاً منافياً للأخلاق ؟

بدأ عدد من معارفه يهتفون ويصفقون له مشجعين ، فحدجهم بنظرة غاضبة ، ثم قال بسرعة :

- هيا ، لنخرج من هنا .

حثها على التقدم ويده ما تزال تقبض على ذراعها فشعرت كأنها لعبة يديرها محرك دمى قوي اليدين ، وسارت معه مسلوبة الارادة لفرط الدهشة المسيطرة عليها .

خرجا من المطعم فتلقفتها حرارة الشمس الساطعة . اجتازا الساحة أمام مبنى المطعم واتجها الى باب يؤدي الى مبانٍ داخلية تحت المدرج . دفعها أمامه عبر الباب المشرع حتى وقفا أمام باب آخر دقه خوان بقبضتيه فجعلها الصوت تفيق من ذهولها ، فحاولت ثانية أن تنتزع ذراعها وحين اخفقت قالت مغمغمة :

ـ أنت مجنون . لا بد أنك كذلك لترغب في الزواج من امرأة تعرفت اليها منذ ثلاثة ايام فقط .

اجابها بنظرة متهكمة :

ـ لست مجنوناً انما اقدر على اتخاذ القرارات الحاسمة عند الاضطرار ، لأني من النوع الذي يعرف ما يريد ويدرك قيمة هذا الشيء عندما يراه . يمكنك القول ان تجاربي مع النساء الاخريات تساعدني الى حد ما .

سمع صوتاً يدعوه الى الدخول فأدار مقبض الباب وفتحه بقوة ثم دفعها بخشونة أمامه الى غرفة مكتب فسيحة رأت فيها شخصين ، رجل مسترخ وراء طاولة مكتبية كبيرة ، وامرأة تجلس على اريكة . هب الرجل واقفاً وهتف :

ـ خوان ! ما الذي أخرك بحق السماء ؟

كان عريض الكتفين معتدل الطول ، شعره الأسود الكث والأجعد بدأ يشيب عند الفودين ، وعيناه السوداوان صغيرتين وثاقبتين تحت جفنين مغضنين . كان يرتدي بزة رمادية خفيفة ، قميصاً ابيض ، ربطة عنق سوداء أنيقة ويقبض بأسنانه على سيكار طويل غليظ فيبدو نموذجاً لرجال الأعمال الكولومبيين . تابع يخاطب خوان بقوله :

ـ انسيت ان استعراض المصارعين يبدأ في خلال عشر دقائق ، وأنك ما تزال في ثيابك العادية ؟

ـ جئت بأقصى سرعة ممكنة . هل قمت بالترتيبات اللازمة بشأني ؟

فاجابت المرأة عنه :

ـ اجل ، اتممنا الترتيبات .

نهضت عن الأريكة وتقدمت منهم . كانت طويلة متناسقة القوام ، تلبس رداء جميلاً من حرير القز ، لونه أحمر داكن ، وخيل الى سوريل انها ترى شيئاً مألوفاً في عينيها الرماديتين وهي تنظر اليها من تحت حاجبيها المقوسين بجمال . مدت لها يداً نحيلة وقالت مبتسمة :

ـ انا اوهينيا كورتيس وهذا زوجي ، دييغو . خوان حدثنا عنك يا سوريل ، هل لفظت اسمك لفظاً صحيحاً ؟ اننا نرحب بجلوسك معنا في المقصورة .

ثم نظرت الى خوان بمحبة وقالت له برقة :

ـ لا تقلق يا صديقي ، سوف نعتني جيداً بعروسك العتيدة . حنى رأسه وقبلها على وجنتيها قائلاً :

ـ شكراً لك . كنت واثقاً من استطاعتي الاعتماد عليك .

فبادلته عناقه وغمغمت :

ـ اذهب في رعاية الله .

ثم استدارت الى سوريل التي كانت تقف مشدوهة فهزتها من ذراعها وقالت تحثها :

ـ هيا ، عانقيه وامنحيه بركة دعائك . الا تدركين انه سيخاطر بحياته هذا العصر ؟

لا جدوى من الرفض أو الممانعة أمام هذين الزوجين ، وفي اي حال ، لا تريد أن ترفض لأنها الآن ، وقد أصبحت على وشك أن تفارق خوان ، لا تريد إلاّ أن تتعلق به وتناشده عدم دخول الحلبة اطلاقاً . تقدمت منه وأحاطت عنقه بيديها ثم همست وهي تقرب رأسه من وجهها :

ـ احترس ، أرجوك .

قبلته على خده لكنه سرعان ما احتواها بين ذراعيه معانقاً اياها ، ثم ابعدها عنه بقوة وخرج مغادراً الغرفة . كانت ساقاها ترتعشان وأنفاسها تتلاحق فتمسكت بظهر المقعد لتثبت نفسها . عادت اوهينيا تمشي متهادية الى حيث الأريكة لتجلس عليها باسترخاء رشيق . كان دييغو قد غادر الغرفة في اعقاب خوان وهو يحثه على الاستعجال ، وبقيت المرأتان بمفردهما . قالت اوهينيا :

ـ اذن سوف تتزوجين ابن اخي ، مع انني لم اسمع باسمك الاّ يوم امس .

هتفت سوريل :

ـ ابن اخيك ؟

شعرت فجأة بحرج بالغ وتمنت لو أنها ترتدي لباساً أكثر أناقة من تنورتها الغجرية الصيفية وبلوزتها القطنية البسيطة . اجابتها اوهينيا باستغراب واضح :

ـ اجل . ألم يخبرك ذلك ؟ أنا الشقيقة الصغرى لرودريغو رينالدا ، والد خوان . تعالي ، اجلسي الى جانبي واخبريني اين التقيت خوان . ان قراره

المفاجيء بالزواج منك هذا المساء هو قرار مثير ورومانسي جداً لكنه ينسجم تماماً مع تقاليد مصارعة الثيران ، فزواج المصارع كثيراً ما يتم بسرعة ، ويعقد احياناً ، وللأسف في مستشفى في لحظات احتضاره .

لحظت الرعدة السريعة التي انتابت سوريل على رغم منها ، فلمست ذراعها مواسية وقالت :

ـ سامحيني ، ما كان يجب أن أذكر ذلك .

وفكرت سوريل في نفسها ، اذا روت لأوجينيا كل شيء فلربما تفهمت وضعها وكيف أنه يستحيل عليها أن تبقى وتتزوج خوان ، ولربما ساعدتها ايضاً على العودة الى ميدلين فسألتها :

ـ متى حدثك خوان بأمري ؟

ـ جاء مساء امس الى كوبايا ليزورنا وليطلب الينا أن نقوم بالترتيبات لاجراء زواج سريع بعد انتهاء المصارعة . لكني كنت سمعت عنك قبل ذلك ، من ابنة اخي انيز ، حين قامت بزيارتي وهي في طريقها الى بوغوتا . كانت مفعمة بالشيطنة كعادتها ، واخبرتني كيف بعثت تستدعي خوان بقولها ان هناك اميرة انكليزية جميلة ذات شعر احمر رائع قد جاءت لزيارته . كانت مهتمة جداً بوصولك المفاجيء الى المزرعة والذي تزامن مع ساعة رحيلها فاعتقدت بالتالي أن خوان قد دعاك الى المزرعة لتعيشي معه كرفيقة . هل فعل ؟

فردت سوريل متلعثمة :

ـ كلا ، أنا . . . أنا قصدته لأطلب مساعدته في انقاذ زواج . . . زواج مونيكا اختي .

وهنا رأت التعجب يغضن وجه اوجينيا ذا التقاسيم الاسبانية الدقيقة ، فاندفعت على الفور تروي لها قصة التقائها بخوان في مركز التزلج وكل ما نتج عن ذلك اللقاء من ملابسات . وهتفت اوجينيا لما انتهت :

ـ الهذا السبب وحده ، قطعت كل تلك المسافة من ميدلين الى المزرعة ، بمفردك ؟ انت والله فتاة متهورة ! الم يحذرك أحد من الخطر الذي قد تتعرض له شابة مثلك في مناطق الريف النائية ؟ كان من المحتمل أن تصابي بمكروه .

فأجابت سوريل شامخة الأنف :

ـ لم أتعرض لأي مكروه ، على الأقل ، قبل أن أحاول الهرب من منزل ابن شقيقك .

ـ وماذا حصل وقتها ؟

ـ حاول أن يمنعني . وأخيراً ، حين تمكنت من الخروج ، لحق بي وأصر على أن ابيت الليل في منزله .

فقالت اوجينيا بحماسة :

ـ حسناً فعل . يسرني أن أسمع ذلك . لقد تصرف بما هو صواب .

ـ صواب ؟ وهل من الصواب أن يحتجز ثيابي ويقفل عليّ باب غرفة النوم ؟

برقت العينان الرماديتان المركزتان عليها وقالت صاحبتهما :

ـ كان يفكر فقط في حمايتك .

فاضافت سوريل بصوت اجش :

ـ وهذا الصباح . . . حاول أن . . .

ـ من البديهي أن يحاول خوان ذلك ، فانت ، حتى في هذه التنورة الرهيبة والبلوزة العادية ، فتاة نادرة الجمال ، كزهرة اوركيديا حمراء ، وخوان يحمل تقديراً عظيماً لكل الجمالات النادرة .

ثم تابعت تسألها بجدية تامة :

ـ هل تضايقت من بادرته ؟

غطت سوريل خديها الملتهبين بيديها واعترفت قائلة بارتباك :

ـ انا . . . انا . . . لا ، لم أتضايق . لكن من الخطأ أن نفعل ذلك اذ لا يمكنني التنازل عن مبادئي لأجاريه في مطالبه . اننا بالكاد نعرف بعضنا بعضاً .

وردت اوجينيا قائلة :

ـ هذه المعرفة تتوطد عادة بعد الزواج وليس قبله .

ـ هناك فوارق عديدة بيننا . فكلانا نشأ بطريقة مختلفة ، كذلك وجهات نظرنا تختلف عن بعضنا تجاه امور عديدة .

ـ اتظنين ان هذا شيء نادر الحدوث ؟ ثقي انه ليس كذلك ، فدائماً هناك أناس من مجتمعات وأوطان مختلفة ، يتزوجون بعضهم بعضاً . الفوارق قد تكون عاملاً ايجابياً ومثيراً في الحياة الزوجية ، كما أن الحب

كفيل بالتغلب عليها .

وهنا نهضت واقفة واردفت :

ـ هيا ، لقد حان موعد ذهابنا الى المقصورة كي نشهد استعراض المصارعين .

فقالت سوريل بعناد :

ـ لن اذهب . لا أستطيع مشاهدة مصارعة كهذه . لا أستطيع ! سأصاب بغثيان ان فعلت .

ـ لكن يجب أن تكوني جالسة في المقصورة . خوان سيتوقع أن يراك هناك ، هيا بنا ، هذا وقت يحتاج فيه الى وجودك ، وعليك أن تقدمي مصلحته على مصلحتك .

فاحتجت سوريل قائلة :

ـ وماذا سيعنيه الأمر سواء كنت هناك أم لم اكن ؟

في تلك اللحظة فتح الباب ، ودخل دييغو يقول ونظرته الثاقبة تروح جيئة وذهاباً بين سوريل وزوجته :

ـ هل انتما مستعدتان لمشاهدة الاستعراض ؟

ثم أقفل الباب وأردف سائلاً :

ـ ما الخطب ؟

اجابته زوجته بامتعاض :

ـ انها ترفض مشاهدة المصارعة . تقول ان ذلك سيصيبها بالغثيان . افهمها أنت يا دييغو . افهمها لماذا يجب أن تكون هناك . لماذا لا يجب أن تخذل خوان في هذا اليوم بالذات .

هتفت سوريل تبرىء نفسها :

ـ كلا ، أنا لا اخذله .

فقال دييغو :

ـ بل ستصيبه بخيبة قوية . اوهينيا ، اسبقينا الى المقصورة فضيوفنا الآخرون قد حضروا .

فتح الباب لزوجته ولما اغلقه بعد خروجها ، ارتكز عليه ثم عقد ذراعيه على صدره وراح يحدق الى سوريل . وفي الأخير قال بصوت اجش من كثرة التدخين :

ـ يبدو واضحاً يا سنيوريتا انك لا تعرفين الا القليل عن مصارعة الثيران وعن الرجال الذين يشتركون فيها . هل تعلمين كيف نشأت هذه الرياضة عندنا ؟

فهزت رأسها نفياً وهي تشعر كما لو انها تستمع الى عظة اخلاقية من مدير مدرسة صارم لكونها اهملت واجباتها المدرسية . وتابع دييغو يقول بتمهل :

ـ نشأت منذ القدم بسبب حاجة الانسان الى اصطياد الغذاء ، منذ أن كان الرجال البدائيون يطاردون الثيران البرية ويذبحونها في العراء ليقتاتوا بلحومها . آه ، يبدو انك بدأت الآن تهتمين بالموضوع .

كانت قد توقفت عن التحديق في يديها ورفعت رأسها لتصغي اليه عن قرب . لكنها ردت محتجة :

ـ ما كان يمارسه الناس من رياضة وحشية في القرن الحادي عشر لا علاقة له بالقرن العشرين . انه مشهد محط للكرامة ليس الا .

ـ اذن انت تعتقدين فعلاً اننا اكثر تمدناً في هذا العصر ؟

هز رأسه يمنة ويسرة وتابع حديثه :

ـ لا ، لا اعتقد اننا كذلك ، فالطبيعة البشرية لا تتغير كثيراً على مر العصور ، وما يزال الرجل يتجاوب مع التحدي الذي تمثله الوحوش البرية ، ويجب أن يمتحن شجاعته امام سطوة الحيوانات الكاسرة . . . مع حلول القرن الثامن عشر ، تعاظمت اهمية ذلك الخادم الذي كان يحمل حياته على كفيه ويتقدم ليستجلب الثور بواسطة وشاح أحمر يهزه أمامه في مناورات خداعية . وهكذا اصبح هو بطل هذه الرياضة وليس الفارس على ظهر الجواد . وشيئاً فشيئاً أصبحت المصارعة تعتبر تأدية دراماتيكية ، وحيث تمكن المقارنة بين مهارة وفن المصارعين وبين مهارة وفن الممثلين المسرحيين .

توقف لينظر الى ساعته وأردف قائلاً :

ـ الوقت لا يتسع لمزيد من الشرح واكتفي الآن بالقول ان المصارع انسان مزاجي كأي فنان لامع آخر فهو يلعب مع الموت نفسه ، وأية حركة خاطئة أو غلطة صغيرة من جانبه كفيلة بالقضاء عليه من قبل الثور المنتصر . هذا ما حصل في تأدية خوان الأخيرة . فقبل أن يدخل الحلبة ،

حدث شيء لا يمكنني البوح به ، شيء ضيّع عليه تركيزه الى حد جعله يرتكب غلطة بسيطة ويتيح للثور بأن يصرعه . اليوم ، لا اريده أن يفقد تركيزه بأي شكل . فهو ان رفع بصره الى المقصورة في الجولة الأولى ولم يرك فيها ، سوف يتساءل عن مكانك وقد يشت ذهنه ويصاب بأذى خطير . اتريدين أن يحدث له ذلك ؟

هزت رأسها ببطء وقالت بصوت كسير :

ـ لا اريده أن يتأذى ابداً ، كما لا اريده أن يصارع بعد اليوم .

قال دييغو :

ـ قد يتوقف عن المصارعة بعد الزواج . والده تقاعد عنها لكي يتزوج . لكن خوان مدين لنفسه ولمعجبيه بمصارعة واحدة فقط كي يستطيع الانسحاب بكرامة ، وليطهر اسمه من وصمة الجبن . والآن ، هيا بنا يا عزيزتي . انا واثق من استعدادك لمساعدته على بلوغ هدفه بوجودك في المقصورة ، وأعدك بأن الأمر لن يكون سيئاً كما تظنين . بوسعك أن تغطي عينيك اذا استحال عليك أن تتابعي المشاهدة .

فكرت سوريل بالندبة على وجنة خوان ، ثم تذكرت صورة الثور وهو يقذفه في الفضاء ، وتذكرت قول جوفيتا انه كاد يموت آنذاك . لا مفر لها من كبت نفورها الخاص من هذه الرياضة ، وحضور مصارعة خوان الأخيرة . . . نهضت واقفة وقالت وهي تمسد تنورتها المشوشة :

ـ سأمشط شعري قليلاً ثم أذهب معك . ليتني ارتدي ثياباً غير هذه لكن ليس لدي سواها .

فابتسم لها دييغو وقال بشهامة وتهذيب :

ـ تبدين رائعة كما انت . كنت اعلم أنك ستراعين مشاعر خوان متى أدركت ما قد يتعرض له .

لدى وصولهما نهاية الممر ارتقيا درجاً خشبياً يؤدي الى مقصورة تشبه صندوقاً كبيراً ، مزينة بالاعلام والزهور ، وتقع في وسط مقاعد المدرج المحيطة بدائرة كبيرة من الرمال الزاهية . كان الاستعراض قد ابتدأ ، وحشود الناس تهتف بصخب مغرقة صوت الفرقة الصغيرة المكوّنة من طبول وزمارات وأبواق . كانت تعزف لحناً حماسياً وهي تتقدم غارزي الرماح والحراب ، ومهمتهم تعذيب الثيران في الجولة الأولى . وخلفهم مر

المصارعون وهم يرتدون اللباس المقصب ويردون على هتافات الجماهير بتلويح قبعاتهم المثلثة الزوايا . وحين مروا من أمام المقصورة ، رأت سوريل بوضوح تام النظرة المتألقة التي صوبها اليها خوان من عينيه الرماديتين قبل أن ينحني لها .

لم تزح بصرها عنه وهو يتهادى حول الحلبة ، ملقياً عباءته الحمراء على كتفه ، ويسير مختالاً في حركات رشيقة من ردفيه وكتفيه تشكل جزءاً لا يتجزأ من دوره كمصارع ، وهكذا ، بالكاد استوعبت أسماء الضيوف الآخرين في المقصورة حين عرفتها اوهينيا اليهم .

ثم انحنت اوهينيا صوبها وقالت هامسة :

ـ هل ادركت الآن اهمية وجودك في المقصورة ؟ عظيم . بعد انتهاء المصارعة سآخذك الى بيتي واختار لك ثوباً مناسباً للزفاف بدل هذا الذي ترتدينه .

ثم ضغطت على يدها بمحبة وأردفت :

ـ لا تقلقي يا حبيبتي ، سأنوب ، أنا ودييغو ، عن وجود والديك أثناء الزفاف .

يبدو الأمر وكأنهم ينتزعون مقود حياتها من يديها . . . فكرت سوريل وهي تجلس واجمة على مقعدها ، وتسمع هدير الهتافات حين هجم ثور اسود راكضاً الى الحلبة وهو يلبط بقائمتيه الخلفيتين وينظر هائجاً حوله . غطت عينيها بيد واحدة كي لا ترى الحراب تغرز في الثور ، وتساءلت عن الشيء الذي حدث لخوان في مصارعته الأخيرة وجعله يضيّع تركيزه . شعرت بارتياح لأن دييغو كورتيس ، وبرغم ضيق الوقت ، شرح لها السبب الموجب لوجودها في المقصورة لدى تطلع خوان اليها . كل ذلك لم يحببها اكثر الى هذه الرياضة ، لكن بعد ما فهمت شيئاً عن تاريخها وتطورها أصبح بامكانها أن تحترم وتقدر الرجال المصارعين اكثر بكثير عن السابق . ومع تلاحق المشاهد المثيرة على الحلبة المتألقة في وهج الشمس ، ومع ازدياد هياج الثور لحظة اثر لحظة ، بدأت تراقب بانتباه على الرغم منها ، وتشعر بتوتر يتنامى في داخلها ، وما أن ابتدأت الجولة الأخيرة حتى وجدت نفسها تجلس على حافة مقعدها كسائر الناس حولها ، وعيناها لا تفارقان المصارع الثالث ذا القوام المتين الخفيف الحركة ، الذي كان يهز

عباءته الحمراء الزاهية بحركات رشيقة متعددة ليحث الثور على مهاجمته ، وينتحي جانباً في الدقائق الأخيرة فقط ، فيمزق الثور ، بقرنيه عباءة الرجل القريبة جداً من جسمه . وكلما تكررت الهجمات وتقارب الالتصاق كلما علت هتافات الجماهير ودوّت في الفضاء .

وشيئاً فشيئاً بدأ الثور الصغير يستسلم للتعب وحيث قلت هجماته وازدادت شجاعة الرجل . كان يلف عباءته حول احدى ذراعيه لحمايتها ، ويمتشق سيفاً بيده الأخرى ، وهو يتقدم ببطء شديد من الحيوان اللاهث المتعرق والذي دل رأسه المخفوض على انهيار قواه . وهنا صمت المتفرجون وحبسوا أنفاسهم رهبة وتوقعاً . جلست سوريل بتوتر ، تقلص يديها على فمها وكل اعصابها ترتجف خوفاً ، ليس على الثور ، انما على الرجل الذي يترصده .

ـ احمه يا الهي من كل اذى ! احمه من كل اذى .

راحت تكرر الدعاء بدون أن تعي وجود جيرانها في المقصورة أو ما قد يصدر عنهم من انتقاد . وفجأة هجم الثور . هبت سوريل واقفة على قدميها كمئات الناس حولها وقد تملكها اقتناع بانها سترى جسم خوان يتقذف في الفضاء ليسقط على الرمل ويدوسه الثور بحوافره ، لكنها دهشت اذ رأته ما يزال واقفاً على قدميه ، ثم استدار بسرعة ليواجه الثور الذي هجم عليه من جديد فيما كان المتفرجون يلوحون بمناديل تعبيراً عن اعجابهم . بعد ذلك جاءت النهاية بسرعة وغطت سوريل عينيها . تراخت على مقعدها وهي تشعر بغثيان يحل مكان التوتر . ثم رأت جميع جيرانها في المقصورة يقفون ويصفقون فوقفت في الوقت المناسب لترى خوان يقترب منهم وينحني كما تقضي تقاليد المصارعة .

ثم ناولتها اوهينيا باقة من الأوركيديا الحمراء وقالت تحثها :

ـ هيا ، اقذفي بها اليه . انها بادرة تظهر له حبك وستفرح الجمهور كثيراً .

فانحنت على حاجز المقصورة وقذفت بالباقة الى تحت حيث سقطت عند قدمي خوان . التقطها ولثمها ثم انحنى لسوريل من جديد . وهنا عبر المشاهدون عن استحسانهم بهتافات مدوية وراحوا يمطرون خوان بباقات الزهور دلالة على اعجابهم الكامل بتأديته الشجاعة ذلك النهار . وفي

الوقت نفسه اقتحم المقصورة عدد من المعجبين المتحمسين كي يهنئوا دييغو كورتيس على تقديمه مصارعة رائعة . ساد هرج ومرج فوعت سوريل أن اوهينيا قد نسيت امرها مؤقتاً ، وبالتالي زودها بفرصة ذهبية للهرب . هبطت الدرج بسرعة وهرولت راكضة على الممر والى مكتب دييغو . استرجعت حقيبتها وفي بضع ثوان كانت تغادر المدرج مع حشد من المعجبين المنفعلين . سارت بينهم على الدروب الضيقة وقررت أن تبقى معهم كي تهتدي بواسطتهم الى ساحة البلدة حيث تجد سيارة اجرة تقلها الى المطار .

سارع رجل الى مساعدتها بعطف وتفهم فمشى معها ليدلها على الشارع المخصص لوقوف السيارات لكن سائق التاكسي البدين ذا الشاربين الكبيرين لم يظهر لها اي عطف وبدا مصمماً على سلوك أطول طريق امكنه سلوكه الى المطار . جلست على حافة المقعد الخلفي متوترة الأعصاب تضرب اخماساً في أسداس ، اذ خشيت الآ تجد طائرة تقلع في هذا الوقت الى ميدلين ، أو أن تكون الطائرة قد أقلعت وسوف تضطر بالتالي الى الانتظار بضع ساعات حتى تقلع اخرى . خنقها الحر لعدم وجود مكيف هواء في السيارة والنافذة المفتوحة لم تخفف منه شيئاً .

في الأخير ، أصبحت البيوت أكثر تباعداً عن بعضها البعض وبدأت الطريق تلتف بمحاذاة النهر العريض المحفوف بالأشجار . ثم استطاعت أن ترى سواري المطار اللاسلكية . وأخيراً انعطف التاكسي على الطريق المؤدي الى مبنى المطار . رفعت الحقيبة وفتحت سحابها لتخرج حقيبة يدها المحتوية مالاً كي تدفع اجرة السائق . أخرجتها وراحت أصابعها تبحث عن ملمس المحفظة الجلدية في داخلها ، انما عبثاً . فتحت الحقيبة على اتساعها ودققت النظر في محتوياتها فلم تجد أثراً للمحفظة . اذهلها هذا الاكتشاف فجلست مصعوقة فيما كان التاكسي يخفف سرعته ويتوقف أمام مبنى المطار .

أخرجت يدها ببطء وأقفلت السحاب . ثم رطبت شفتيها الجافتين ونظرت الى السائق . . . لا تستطيع التوجه الى أي مكان من دون مال . ليس امامها الاّ أن تطلب اليه ارجاعها الى المدرج على أمل أن تجد خوان هناك ويدفع هو الأجرة عنها . لكن العودة تعني استسلامها لخوان ، وهذه

النتيجة واضحة كعين الشمس .
وقال الرجل محتداً :
ـ سنيوريتا . لقد وصلنا المطار . ادفعي لي من فضلك .
فبدأت تقول :
ـ اود ذلك لكني فقدت محفظتي المحتوية كل ما لدي من مال .
ثم اجفلت حين بدأ يوجه اليها سباباً ورأته يفتح بابه بعصبية مهدداً باستدعاء البوليس . هتفت بصوت يائس :
ـ ارجوك لا تستدع البوليس . ارجعني الى المدرج ، حيث تقام مصارعات الثيران . اني اعرف شخصاً هناك ، وهو سيدفع لك اجرتك .
عاد يجلس على مقعده وسألها بنظرة ضيقة مرتابة :
ـ ما اسمه ؟
ـ خوان رينالدا .
بدا الاسم مجهولاً لديه فأردفت مفسرة :
ـ الشجاع ، مصارع الثيران .
رد باحتقار :
ـ ها ! أنت صديقة للشجاع ؟ اتتوقعين مني أن اصدق هذا الكلام ؟
وانخرط في سيل آخر من الشتائم ، ناعتاً اياها بالكذب واللصوصية ولكن لحسن الحظ ضاعت غالبية عباراته القاسية في ضجيج طائرة مقلعة ، وربما الطائرة نفسها التي كان من الجائز أن تسافر بها .
وفجأة ، مرت بها سيارة سوداء فارهة وتوقفت أمامها مباشرة . انفتح احد البابين الخلفيين ، وهبط منها رجل يرتدي قميصاً قرمزياً وبنطلوناً أسود . فقذفت سوريل نفسها على مقعد التاكسي الخلفي وصرخت وهي تخرج رأسها من النافذة :
ـ خوان ، خوان ! انا هنا !
كان يهم بدخول المبنى لكنه توقف ناظراً خلفه ثم تقدم صوب التاكسي . حدجها بنظرة قاسية متأججة وفتح الباب آمراً اياها بقوله :
ـ اخرجي .
وعلى الفور قفز سائق التاكسي من مقعده وهرول الى خوان يؤشر بيديه غاضباً ويبدأ يشرح له القصة . توقف فجأة وبحلقت عيناه ثم غمرت

الابتسامات وجهه وهو يمد يده لخوان ويربت على كتفه بحب واعجاب .
قال له خوان شيئاً ثم أخرج من جيبه مالاً ونقده اياه . فقال السائق مبتهجاً وهو يدس المال في جيبه :
ـ الف شكر يا سنيور .
ثم التفت الى سوريل وأردف :
ـ اعتذر سنيوريتا عما حدث بيننا من سوء تفاهم .
وحالما انطلق بسيارته بدأت سوريل تسير في اتجاه المبنى لكن سرعان ما قبض خوان على ذراعها وأرغمها بخشونة على مواجهته . قال من بين أسنانه :
ـ لن تسافري . ستأتين معي .
رفعت بصرها اليه فطالعها وجهه المفتح بقسوة ورأت في حدقتيه بريقاً غريباً جعلها تنكمش داخلياً وتحسب الف حساب لعواقب ذلك الغضب الرهيب . قالت تتوسله :
ـ ارجوك يا خوان . يجب أن أرجع الى مونيكا . . . اذا . . . اذا دفعت عني ثمن البطاقة .
اجاب بصرامة :
ـ لقد أقلعت الطائرة قبل قليل .
شدد قبضته على ذراعها وبدأ يدفعها صوب سيارة الليموزين حيث رأت سائقاً في لباس رسمي يجلس بصبر وتهذيب . فقالت بالحاح وهي تحاول التملص منه :
ـ سوف انتظر الطائرة التالية .
فأجابها وهو يفتح الباب الخلفي :
ـ ستزور آل اهلي بعد زواجنا . أعدك بذلك . اما الآن ، فاصعدي امامي .
ـ كلا ! دعني اذهب ، ارجوك . الا ترى أن زواجنا سيفشل ؟ اننا مختلفان جداً عن بعضنا وغير متكافئين .
قال بوقاحة :
ـ اخرسي ! لا تدعيني اضربك على قفاك على مرأى من الناس ، ولا تظني للحظة أنني اهددك جزافاً !

توسله بنظرة أخيرة يائسة ثم صدقته . صعدت السيارة كالسلحفاة ، وحالما جلس الى جانبها انطلق السائق عائداً بها الى كوبايا .

٦ - عروس لليلة واحدة



جلست سوريل بعيداً عن خوان قدر المستطاع ، وسرحت ببصرها الى النهر العريض الصافي الذي يعكس ألق الشمس الغاربة ، ويجري كذهب مسيّح بين حفافي الأشجار الداكنة . على الضفة الأخرى ، وخلف الأشجار ، بدت الحقول الخصبة مؤتزرة بظلال زرقاء وهي تنطوي أمام بصرها كغيوم ارجوانية ، فيما بيوت المزارع المتباعدة تتألق كأجنحة بيضاء وأسطحها الحمر تتوهج كما النار .

هذا المشهد الهادىء والوجه الآخر لكولومبيا ، بلد التناقضات ، لم يجلب الراحة لأفكار سوريل . فعواطفها تتوه في دوامة ، وهي تجلس متهدلة الكتفين على المقعد الخلفي ، لا تدري ماذا تفعل أو تقول . شبهّت نفسها بالثور في نهاية المصارعة ، خائرة القوى ، وتصميمها على المقاومة في

درجة الصفر تقريباً . وجاءها صوت خوان على حين غرة ، يهمس في أذنها وأنفاسه تلمس خدها كريشة ، مما جعلها تعي أنها صارت تجلس لصقه بدون أن تتذكر قيامها بذلك :

ـ والآن ، ما رأيك بتأديتي ؟ ألن تعززي غروري كما هو مطلوب من الزوجة الفاضلة ؟ ألن تقولي انني أديت دوري بروعة فائقة ؟ قبل بضعة أيام ، لم تترددي في امتداح براعتي التزلجية .

فردت بصوت خفيض :

ـ انا لست زوجتك .

ظلت مشيحة عنه كي لا ترى السخرية التي تصورتها مرسومة على فمه المائل . قال مؤكداً بغرور :

ـ ستصبحين زوجتي عما قريب .

ـ لا اريد ذلك . لا أستطيع الزواج منك ونحن بالكاد نعرف بعضنا بعضاً .

ـ ولهذا السبب بالذات ينبغي أن نتزوج . . . لكي نوطد هذه المعرفة .

فاستدارت تتفحّص وجهه بعينيها الواسعتين ، ولم تخرج بنتيجة سوى أنه بدا متسلياً بفكرة ما . قالت بارتياب :

ـ لا بد أن هناك سبباً آخر . لا اصدق أنك تبغي الزواج مني كي نوطد معرفتنا .

اجابها بصوت أرق وقد اقترب منها اكثر :

ـ لم تتركي لي أي خيار . يجب أن أفعل شيئاً لأمنعك من الهرب . لقد جعلتني الحق بك مرتين . الا يلفتك هذا الى شيء عني ، يا سوريل ؟

ـ يلفتني فقط الى أنك تبدو عاجزاً عن تقبلك لأول هزيمة عاطفية تمنى بها . انك تواجه لأول مرة ، امرأة تختلف عن الأخريات ، امرأة لم تصرعها بتلك الهالة البطولية الرومانسية التي تتلذذ في احاطة نفسك بها . ولو انني لم اضيّع محفظتي لكنت الآن في طريقي الى ميدلين .

ـ اجل ، فكرت في ذلك .

ضغط على خدها برفق ثم ازاح شعرها الكث عن عنقها الناعم بأطراف اصابعه ، وتابع يقول :

ـ لهذا السبب لم أرجع اليك المحفظة عندما وجدتها .

- انت . . . وجدتها ؟ أين كانت ؟
- سقطت منك في غرفة النوم . وعلى الأرجح لم تنتبهي لسقوطها في غمرة استعجالك الهرب هذا الصباح .
- اذن ، اعطني اياها فوراً ! اوه ، اني اعتبر احتفاظك بها عملاً خسيساً !
حاولت ازاحة يده بعنف لأن ضغط أصابعه اللطيف كان يضعف مقاومتها لسحره لكنه اعتقل يدها بيده الأخرى ورفعها الى شفتيه ، ثم ضغط بها على صدره كي يدعها تشعر بخفقات قلبه ، وقال بهدوء متأملاً وجهها :
- عندما أتناور مع ثور صغير ومتهور ، أحاول دائماً أن اتكهن بالوجهة التي سيهجم منها ولذا خمنت أنك ستحاولين العودة اليوم الى ميدلين ، وكان عليّ أن اجد طريقة ما لأعيق ذهابك . ديغو واوهينيا ساعداني من جهتهما على اقناعك بحضور المصارعة ، وأنا أخفيت محفظتك لأزيد من تأخيرك ولأتمكن بالتالي من اللحاق بك في الوقت المناسب .
- لم ارَ على غرارك رجلاً مجرداً من المبادىء الى هذا الحد .
- اني اتجرّد منها حين أكون راغباً في الحصول على أمر ما ، وأنا اريدك زوجة يا سوريل .
حاولت أن تبعده عنها بدفع صدره الى الوراء انما كانت كمن يزحزح حائطاً صخرياً ، وحين حركت رأسها لتتفادى وجهه وجدت يده تقفز الى خدها وتلوي وجهها صوبه . همست :
- لن تجبرني على الزواج منك . سأرفض ذلك . سأقول ان هناك اسباباً عديدة تحول دون زواجنا . سأزعم انك خطفتني بالاكراه . سأقول لرجل الدين اننا لا يجب أن نتزوج لأننا لا نحب بعضنا بعضاً .
- تتحدثين دائماً عن الحب مع أنك بدأت لتوك تتعلمين شيئاً من عذابه اللذيذ ، والآن سأعطيك مزيداً من الدروس .
لمس محياها برقة ، وجنتيها ، جبينها ، جفنيها وذقنها فارتعش قلبها وأصبح التفكير في مقاومته شيئاً منسياً . عطر شعره ووجهه أشعرها بضعفها وخفقات قلبه أسمعتها الحاناً رقيقة ، فما عادت تهتم أين هي ولا درت بشيء عن حلول الغسق ولا عن قناديل الشوارع التي كانت السيارة

تخترقها بهدوء وسلاسة . الكون كله كان يدور ويتركز في هذه العواطف الملهوفة . مرر اصابعه في شعرها وقال ناظراً في عينيها بتوق ، وصوته يخرج كثيفاً بفعل عاطفته المشبوبة :
- هل عرفت الآن شيئاً عما سيحدث بيني وبينك ؟ عما قد يحدث هذه اللحظة وفي هذا المكان بالذات ؟
- اجل .
- هذا ما حاولت أن تتحاشيه من خلال هروبك . كان بمقدوري أن ادعك ترحلين وأنساك ، ربما مع امرأة اخرى ، لكني لم اشأ فعل ذلك لأني أريدك انت بالذات يا سوريل ، لذا ابقي معي وتزوجيني إن كانت هذه هي الطريقة الوحيدة .
غمرت وجهه بيديها وهمست بحرارة :
- نعم . نعم . سأبقى معك وأتزوجك .
تمهلت السيارة ثم توقفت أمام بيت قديم ، ذي جدران خارجية بيضاء تلتمع بنعومة في الضوء الذهبي المنبعث من قنديلين بندليان قرب المدخل .
لم تكن سوريل قد أفاقت تماماً من مشاعرها فدخلت البيت كالحالمة لتجد نفسها في ردهة فسيحة تشعشعها اضواء ثريتين كبيرتين . كانت اوهينيا كورتيس هناك، وبعد حوار قصير مع خوان تأبطت ذراع سوريل وصعدت بها الى الطابق العلوي وادخلتها غرفة نوم جذابة مزينة بورق جدران منثور بالورود ومؤثثة بفرش أبيض وذهبي .
اغلقت اوهينيا الباب وقالت بحيوية :
- هذه الغرفة ستكون تحت تصرفكما، انت وخوان، اثناء مكوثكما في كريايا. يوجد حمام ملحق بها، وستجدانها هادئة على ما اظن. لقد وجدت لك ثوباً مناسباً للزفاف، فلحسن الحظ، لم تأخذ ابنتي روزيتا كل ثيابها عندما تركت البيت عروساً. انت وهي متعادلتان في الطول تقريباً، لكنك انحف منها، ولذا عليّ ان اضيّق الثوب ليناسب جسمك. اذهبي الآن واغتسلي ريثما آتي به.
كان الرداء عاجي اللون من قماش الكريب دوشين الثقيل، وزيه انيق رغم بساطة خطوطه. قالت اوهينيا وهي تساعد سوريل على ارتدائه :
- لقد ارتدته روزيتا في حفلتها الراقصة الاولى حيث صمّم لها خصيصاً

عندما بلغت الثامنة عشرة قبل ثلاث سنوات، لكنني واثقة من انها ستفرح من ارتدائك اياه، كما ارجو الا تمانعي انت في ارتدائه كثوب عرس. ان لبس شيء مستعار، من المفروض ان يجلب الحظ للعروس، اليس كذلك؟

ـ اجل.

حدّقت سوريل باستغراب الى مظهرها الجديد المنعكس في المرآة الطويلة. فالثوب جعلها تبدو مختلفة كثيراً عن الشكل الذي توقعته، اذ بدت كفتاة تخرج من صورة في كتاب قصصي اسطوري!

بدا لها انه لم يكن هناك اي تباين يذكر بين لون الثوب ولون بشرتها، ونتيجة لذلك بدا شعرها الاحمر اكثر لمعاناً وروعة، وعيناها اغمق لوناً وكأنهما بركتان عميقتان من السواد.

كانت اوهينيا قد ضيّقت حواشي الفستان قليلاً بواسطة الدبابيس وبدأت تخيطها بسرعة حول جسم سوريل. سألتها بعد قليل:

ـ ما رأيك في الثوب؟ هل اعجبك؟

ـ اجل، اعجبني انه للطف كبير منك ان تعيريني اياه. لقد كلفكما خوان عناء كبيرا، انت وزوجك، حين قرر ان يتزوج بهذه السرعة من فتاة التقاها لتوه.

ثم اضافت بلهجة اعتذار:

ـ ومع ذلك لا تبدين مندهشة من تصرفه.

اطلقت اوهينيا ضحكة قصيرة وردت:

ـ لا يمكن ان يدهشني مطلق تصرف يصدر عن خوان، فكلانا من السلالة نفسها. لقد كان منذ ولادته قانوناً بحد ذاته، وذا نزعة عنيدة جداً الى نيل ما يريد ولو اضطر في سبيل ذلك الى اقلاق الآخرين او حتى الى ايذائهم. من فضلك، استديري قليلاً الى اليمين، علي ان اخيط الثوب وانت ترتدينه، اذ لا وقت لاصلاحه بآلة الخياطة.

اطاعتها سوريل واطلقت تنهداً بطيئاً خفيضاً عبّر عن ارهاقها، فنظرت اليها اوهينيا باهتمام وغمغمت:

ـ يا صغيرتي المسكينة، انت منهكة جداً. ما كان يجب ان تهربي بتلك الطريقة اذ جعله ذلك اكثر تصميماً على امتلاكك، انه يحب كل انواع التحديات، ولو لم يولد لعائلة تحترف مصارعة الثيران اباً عن جد، لاختار

ربما شيئاً آخر يشكل تحدياً مماثلا: كتسلق الجبال او الطيران البهلواني او سباق السيارات، اي شيء يضطره الى استعمال مداركه وبراعته ليتجنب الموت في العاب الموت هذه.

عادت سوريل تحدق الى صورتها في المرآة، انها تشعر فعلاً بارهاق وخوار. كذلك تحس انها وحيدة جداً، فها هي تستعد لزواجها من رجل غريب في ارض غريبة وتبعد كثيراً عن اي اهل او اصدقاء. لماذا تقدم على هذا؟ اين ذهبت ارادتها القوية ونزعتها الاستقلالية؟ قطعت اوهينيا خيطاً بمقص صغير وتراجعت قليلاً لتفحص نتيجة اصلاحها، ثم قالت:

ـ هذا اقصى ما استطيع فعله، والآن، جربي هذين الحذائين. من المفروض ان يناسبا قدميك. وبدلاً من الطرحة التقليدية، لدي هذه الطرحة المخرمة التي كانت لامي.

فاحت من الطرحة العاجية رائحة الخزامى المجففة التي خزنت بها، فلامستها سوريل باغتباط، وقد تأثرت لمعرفتها بانها كانت تخص جدة خوان.

ـ هيا يا حبيبتي، حاولي ان تبتسمي قليلاً، الزواج خطوة رائعة لأنه بداية الحب وليس نهايته. لننزل الآن الى الطابق الأول حيث يقدم اليك دييغو شراباً منعشاً يزيل الذبول من محياك.

بعد نصف ساعة كانت سوريل تقف الى جانب خوان أمام رجل دين ضئيل الجسم اسود الشعر، يشبه جوفيتا الى حد بعيد، وتحاول ان تركز على ما كان يقوله بعبارات اسبانية سلسة وهو يبارك اتحادهما ويوصيهما بالحفاظ على العهود التي قطعاها على نفسيهما قبل لحظات.

غام لهب الشمعة أمام بصرها واحست بدوار بسيط بفعل حرارة الجو العابقة بالبخور. ترنّحت فسارع خوان الى احاطة خصرها بذراعه، ثم ازاح الطرحة عن محياها وقبلها بلطف، وفي الاخير تأبط ذراعها، واستدارا معاً، يهبطان الدرجات القليلة ويسيران خارجين على الممر الطويل بين صفوف المقاعد.

لو ان هناك شخصاً واحداً من اهلها يقف الآن بين الصفوف المعتمة، قريباً او صديقاً ينتظر مرورها ليهديها ابتسامة حلوة. لكن لم يكن هناك سوى اوهينيا، ودييغو، بانشو، الرجال الذين اشتركوا في المصارعة ذلك

النهار وبعض المعجبين بخوان من اهالي البلدة الذين سمعوا اشاعة تقول ان بطلهم المحبوب سيتزوج هذا المساء فجاؤ وا ليحضروا الاحتفال.

عادا الى منزل دييغو، وحيث تحوّلت الحفلة الخاصة بالمهرجان الى احتفال بزفاف. ولكن كم تختلف هذه عن كل حفلات الاعراس السابقة التي حضرتها قبلاً! فهنا لا يجلس المدعوون الى موائد طعام طويلة ولا تسمع انخاب هادئة مهذبة تعقبها وصلة رقص وشراب. هنا يعطون الاولوية للرقص والشراب اللذين كانا في عزهما عندما وصلت وخوان الى البيت.

وما هي الاّ لحظات حتى انتزعها شاب مجهول من جانب عريسها واخذ يدور بها في ارجاء القاعة في رقصة كولومبية تفيض بالحيوية، تصاحبها غيتارات محلية يعزف عليها شبان متحمسون. وبعد نصف ساعة، وقد تورّدت وجنتاها وتبعثر شعرها لكثرة ما رقصت مع عدد وفير من المدعوين، تلفتت حولها تبحث عن خوان فرأته واقفاً عند احد المداخل المقنطرة لقاعة الاستقبال الفسيحة، وهو يتحدث الى امرأة بدت مألوفة جداً بشعرها المقصوص عالياً وعنقها الطويل وقامتها النحيلة، انها ايزابيلا كورتيس! احست سوريل ان وجود ايزابيلا كان جزءاً متمماً للمشهد الخيالي العجيب، وقد يعني ذلك انه سينتهي قريباً وستفيق هي لتجد نفسها في غرفتها في بيت عائلة انهل، وان كل ما حدث لها من حين تركت رامون في مكتبه مساء الاحد، لم يكن سوى اضغاث احلام.

بدأت تسير صوب خوان وايزابيلا، وهي تتوقع الى حد ما ان يتبخرا في الهواء لدى اقترابها منهما. لكنهما بقيا مكانهما، ورأت خوان يستدير عنها يتقدم بضع خطوات ليرحب بصديق له قدم في تلك اللحظة. اما ايزابيلا كانت تتلفت حولها عابسة وحالما وقع بصرها على سوريل، اختفى بؤسها وحلت مكانه ابتسامة خفيفة ساخرة وهي تقول:

- آه، الآنسة برستون،

ثم وضعت اصبعها على فمها تتظاهر بالامتعاض، واردفت:

- المعذرة، يجب ان اقول السنيورا رينالدا. ها نحن نلتقي ثانية، وفي ظروف غريبة حقاً.

- ماذا تفعلين هنا؟

- دييغو هو شقيق زوجي، وقد جئت ازوره واوهينيا بمناسبة المهرجان،

اظنني تأخرت قليلاً في الوصول.

قطبت ثانية وبدت قلقة جداً وهي تردف:

- قضيت وقتاً طويلاً مع مونيكا فتأخرت على موعد الطائرة التي تقلع عصراً من ميدلين. اني لأتساءل عما ستقول مونيكا حين تسمع خبر زواجكما.

ثم تلفتت حولها وكأنها تريد التأكد من انهما بعيدتان عن مسمع الحاضرين، واضافت هامسة:

- اخبرتني اليوم انها تأمل في عودة المياه الى مجاريها بينها وبين رامون، وانها قد فكرت في وسيلة لاقناعه بأنها لم تعد رفيقة لخوان.

فردت سوريل بتوكيد:

- لكنهما لم يكونا رفيقين في أي وقت من الأوقات.

- كيف عرفت؟ هل اخبرتك هي ذلك؟

بدت ايزابيلا مندهشة، لكن حين اومأت سوريل برأسها. ضحكت المرأة باطمئنان وقالت:

- لم تخبرك بذلك الاّ لتكسب عطفك، وافضل وسيلة لاستمالتك الى جانبها هي ان تزعم براءتها من قصة خيانتها لرامون. لا تنسي اني اعرف كل شيء عنها وعن خوان اذ اطلعت على علاقتهما منذ البداية وراقبت تطوراتها. الم تكن هي التي طلبت اليك ان تأتي هنا لترى خوان؟

- نعم... كلا...

وفجأة لم تعد سوريل متأكدة، هل كانت هي صاحبة الفكرة ام مونيكا؟ رأت ايزابيلا تبتسم هازئة فاضافت بضعف:

- انا حثثتها على طلب مساعدته، وهي وافقت على ذهابي لمقابلته.

فقالت ايزابيلا متشدقة:

- وهكذا وقعت في مصيدتها الصغيرة. لقد شجعتك على الذهاب لكي يعلم خوان ان رامون قد اكتشف ما كان يجري بينهما وبالتالي كي يبادر خوان الى ذر بعض الرماد في عيني رامون ليعميه عن رؤ ية الحقيقة.

بدأت سوريل تفقد حيويتها السابقة التي احدثها الرقص والمرح، وشعرت ببرد وارهاق وحيرة فغمغمت:

- انا لا افهم.

- لا تفهمين؟ كم يؤسفني اني لم استطع رؤيتك قبل مغادرتك بيت رامون امس. فلو حصل ذلك، لاستطعت منعك من الحضور لرؤية خوان. فانا اعرفه جيداً، واعرف قدرته على استغلال الامور لصالحه وحيث لا يتوانى عن استعمال الناس وخداعهم لما يخدم اهدافه الخاصة، وهنا لا بد لي من الاعتراف بأنني لم اتصور ابداً ان تصل به انانيته الى حد استخدامه الزواج من فتاة شابة وبريئة مثلك، ولعله اضطر الى هذا الزواج ليقنع رامون بان علاقته مع مونيكا قد انتهت الى غير رجعة، ولتستطيع مونيكا ان تحتفظ بزوجها وبرفيقها معاً.

وفكرت سوريل في نفسها. الآن حان وقت الاستيقاظ كي تضع حداً لهذا الحلم الذي يتحوّل بسرعة الى كابوس. لكنه يرفض ان ينتهي، وهي ما تزال تقف مكانها، تحدق الى ايزابيلا، وتشعر بغضب جامح يتنامى في داخلها.

ابتسمت ايزابيلا بشيء من المرارة، وقالت:

- اما خطر لك ان تتساءلي عن فجائية هذا الزواج؟ لقد استطاع خوان ان يخدعك بسهولة بسحره القوي، أليس كذلك؟ بعد شهرين من الآن سوف تحملين طفله في احشائك، ويعود رامون الى الانغماس في اعماله، وتستعيد مونيكا قدرتها على السير، وبوسعك ان تتصوري ما سوف يحدث آنذاك.

وهنا تنهدت ايزابيلا وتابعت:

- اوه، يؤسفني يا عزيزتي ان اضطر الى اخبارك كل هذا. يبدو ان دوري في الحياة صار يقتصر على ان اكشف للآخرين ما لا يستطيعون ان يروه بأنفسهم. وحتى رامون، رجل الاعمال الناجح، قد وقع فريسة لهذا الخداع المزدوج من قبل زوجته وعريسك. ولكن، ماذا ستفعلين الآن؟

- لست... لست ادري لغاية الآن... عليّ ان افكر. اشعر بارهاق شديد ومن الافضل ان انام.

رفعت طرف ثوبها بيديها واستدارت تسير مهرولة وهي تشق طريقها بين تجمعات المدعوين الصاخبة. ولما وصلت الردهة رأت خوان يرفع بصره اليها وسمعته يناديها الا انها تجاهلت نداءه وصعدت الدرج مهرولة، ثم استدارت الى اليمين في اتجاه الغرفة التي غيرت فيها ثيابها قبل اجراء

الزواج. وحالما دخلتها اغلقت بابها وارتكزت عليه لتلتقط انفاسها، ثم سارعت الى قفله بالمفتاح.

لم يكن ظلام الغرفة دامساً اذ كانت اضواء مصابيح الفناء تتسرب من النافذة العريضة التي تطل عليه وتلتمع على زجاجها. سارت اليها سوريل، وثوبها الحريري يصدر حفيفاً ناعماً واقفلت بابيها الزجاجيين باحكام. وفجأة استدارت بسرعة، كحيوان محاصر، حين احست بوجود شخص يدير مقبض الباب ويحاول فتحه بالقوة. وجاءها صوت خوان يهتف بحدة:

- سوريل! افتحي الباب من فضلك.

تعرقت يداها على حين غرة فمسحتهما بفستانها. حدّقت الى الباب وكلمات ايزابيلا تضرب رأسها كمطرقة... انها في حاجة الى وقت لتفكر في تلك المعلومات ولتخطط شيئاً في ضوئها.

وعاد خوان يناديها بصوت ارق، وبشيء من المرح:

- سوريل، اعرف انك هناك، افتحي الباب ارجوك!

- خوان، هل تستطيع سماعي؟

فهز مقبض الباب واجابها:

- اجل، لكنني افضل ان اراك. هيا، افتحي. اية لعبة هذه التي تلعبينها؟

- ارجوك يا خوان. حاول ان تفهم. انا... انا متعبة واريد ان انام.

فقال بلهجة مداعبة:

- اذن دعيني ادخل وانام ايضاً من حقي الآن ان افعل ذلك، وانت ايضاً يا حبيبتي من حقك ان تنامي معي.

- كلا، ليس الآن، في ما بعد. سيكون من الافضل لكلينا ان نستريح اولاً. ارجوك يا خوان.

اجابها الصمت. انتظرت باعصاب متوترة اذ توقعت ان يتصرف بعنف فيحطم القفل بلبطة محكمة الهدف، لكنه ظلّ ساكناً ولم يهز مقبض الباب ايضاً. مرت اللحظات ثقيلة بطيئة ثم اغضبها صمته فنادت قائلة:

- خوان، هل تسمعني؟

الصقت اذنها بالباب واصغت، فما قدرت ان تسمع شيئاً. هل ذهب؟

حيرها رد فعله هذا، او بالأحرى عدم رد فعله تجاه الباب المقفل، فابتعدت عنه ببطء، وهي تقاوم رغبة في فتحه واللحاق بخوان كي تتهمه وجهاً لوجه بما قالته لها ايزابيلا.

كانت تشعر بالحيرة والارهاق، وبوجع الخيبة يمزق احشاءها. نزعت الثوب العاجي والقته كبركة من الحرير على السجادة الوثيرة، ثم ارتقت السرير العالي القوائم واندست بين الاغطية الناعمة بارتخاء. اغمضت عينيها المثقلتين وبدا لها ان ايقاع الموسيقى الراقصة المنبعث من تحت كان يمتزج مع ضربات قلبها ويجلب لها النعاس تدريجياً.

خيل اليها انها على متن طائرة تحلق فوق المحيط الاطلسي، وان الكابوس قد انتهى اخيراً، واحست نفسها تبكي بقلب كسير لأنها لا تريد فراق خوان ولا يهمها ان كان خدعها. تريد فقط ان تكون معه. وحتى في احلامها استطاعت ان تحس دفء يديه وحرارة انفاسه وان تسمع خفقات قلبه تتحد مع خفقاتها.

فتحت عينيها فاذا بنور الفجر الباهت يتسلل من النافذة المفتوحة قليلاً والتي تظهر منها زاوية سطح احمر... لم تكن على متن طائرة، انما في منزل آل كورتيس في كوبايا!

رفعت يديها فاصطدمتا بيدين اخريين، كبيرتين قويتين. ادارت رأسها على الوسادة فانزلقت اليدان فوراً مبتعدتين عنها. هبت جالسة على الفراش ونظرت الى الرجل المستلقي على ظهره الى جوارها. كان الضوء الباهت ينطرح على خده المندب، واهدابه الكثة تبدو كمروحة سوداء تظلل ما تحت عينيه وفمه الجميل ينحني بهزء كما لو انه يبتسم لفكرة ساخرة.

كيف دخل الغرفة، وكم من الوقت مضى وهو هنا الى جوارها؟ انحنت عليه بفضول. اهو نائم ام يتظاهر بالنوم؟ لمست الندبة على خده ولاحقتها بلطف بطرف اصبعها. ثم لمحت بريقاً بين اهدابه ورأته يراقبها. انزلت يدها وجلست بلا حراك. مرت لحظة مشحونة بتوتر مثير ثم تحرك خوان كالبرق المرعد ولف عنقها بذراعه جاذباً اياها صوبه، وغمغم:

ـ صباح الخير سينيورا رينالدا. كنت انتظر استيقاظك. ارجو ان تكوني نمت جيداً وزال تعبك، لأن وقت العناق ازف من جديد.

فهتفت وهي تدفعه عنها:

ـ لا، انتظر يا خوان. هناك شيء يجب ان اعرفه واريد التكلم معك بشأنه.

ـ انت تتكلمين اكثر من اللزوم، لكني اعرف طريقة جيدة لاسكاتك.

احسته يعاملها بلا رحمة وكان ملمس يديه يوقظ عواطفها ويشل قدراتها. بعد ذلك استلقت الى جانبه في صمت راجف وقد ادهشها استسلامها الكامل له.

سمعته يغمغم:

ـ اصبحنا الآن متحدين جسماً وروحاً. هل تظنين فعلاً انك تستطيعين منعي باقفال باب علي؟

كانت تحس ارتخاء ينتشر في مفاصلها ويغريها بالبقاء طيلة النهار الى جانبه.

وسألته:

ـ كيف دخلت؟

ـ عبر الحمام الذي له باب يفتح على الرواق.

شبك اصابعه في شعرها وتابع ضاحكاً بخفوت:

ـ لا بد انك كنت مرهقة جداً فلم تفكري في اقفال باب الحمام ايضاً. لكن التعب لم يكن السبب الذي حداك الى اقفال باب الغرفة، هناك سبب آخر. هل تريدين الافصاح عنه يا حبيبتي؟

ـ اردت ذلك قبلاً لكنك منعتني... اقفلت الباب لأنني اردت ان افكر في شيء سمعته عنك من شخص ما.

ـ شيء لم يرق لك؟

ـ اجل يا خوان، فأنا اعرف لماذا قررت ان تتزوجني.

ضحك ثانية ورد وهو يعانقها:

ـ بالطبع تعرفين، فأنا اخبرتك السبب وقد اثبته لك فعلياً قبل قليل. تزوجتك لأحول دون هروبك، لابقيك معي، ولأعرضك بافتخار لكل اقربائي واصدقائي ولأزهو بك امامهم...

فأضافت تتهمه بصوت خفيض:

ـ ولتذر الرماد في عيني رامون؟

هب جالساً ليواجهها وهتف بحيرة وعبوس:

- ما هذا الذي تقولينه عن الرماد وعن رامون انهل؟
- انت تعلم جيداً ما اقصد، لذا لا داعي لأن تتظاهر بانك لا تفهم. قلت لي امس ان هناك سبباً اخر لزواجك مني اضافة الى رغبتك في توطيد معرفتنا، وقد اكتشفته! سوف تستعمل زواجنا كغطاء لتحمل رامون على الاعتقاد بأن علاقتك مع مونيكا قد انتهت، اليس كذلك؟

استمر يحدق اليها واجاب بوجه قاس:

- من اخبرك ذلك؟
- ايزابيلا كورتيس.
- اتعرفين ايزابيلا؟
- بالطبع. تعرفت اليها والتقيتها عدة مرات في بيت رامون ومونيكا. انها صديقة العائلة، ومن المفروض ان تعرف انت ذلك لانها هي التي عرفتك الى مونيكا.
- حقاً؟

هز كتفيه بلا اكتراث ثم اضاف وهو ينهض:

- لقد نسيت، وانصحك بأن تنسي انت ايضاً.

راحت تلاحقه ببصرها وهو يرتدي ثيابه. انه لم ينف اتهامها بشكل حازم بل رد عليه باسئلة اثارت فيها مزيداً من الارتياب، فغمغمت:

- لا اقدر ان انسى.

رمقها بنظرة حذرة ثم حمل قميصاً نظيفاً على ذراعيه وهم بمغادرة الغرفة، فسألته:

- الى اين تذهب؟

فاستدار قائلاً:

- الى الحمام، كي اغتسل واحلق ذقني. اود من كل قلبي ان اقضي الصباح معك لكنني مضطر الى زيارة الحلبة لاهتم بأمر الثيران.

افتر فمه عن ابتسامة خفيفة واردف:

- لا تقلقي يا حبيبتي، سوف نستمتع بشهر العسل بعد انتهاء المصارعات.
- لكنك لم تجب على سؤالي.

فرد باختصار:

- حسبتني فعلت. لقد طلبت اليك ان تنسي الأمر، اذ لا يعنيك اي شيء من احداث حياتي الماضية.
- بما في ذلك علاقتك بمونيكا؟
- اجل، تلك ايضاً.
- تصرفاتك الماضية لا تعنيني لكن تصرفاتك المستقبلية تهمني.
- بدأنا الآن نقترب من لب المشكلة! انك تغارين من النساء اللواتي قد التقيهن وانظر اليهن مرتين.

هز رأسه ضاحكاً وقال وهو يفتح باب الحمام:

- سوريل، لم يخطر لي انك ستكونين غيورة الى هذا الحد. لكن الذي تلمحين اليه لن يحدث اطلاقاً طالما انت تتصرفين كزوجة مثلى وترحبين بتقرباتي العاطفية.

رمقها بنظرة ولهى جعلت قلبها يخفق بقوة، واضاف بصوت اكثر رقة وعمقاً:

- مثلما فعلت هذا الصباح.
- كفى، كفى! لا تحاول خداعي وايهامي بانني سابقى المرأة الوحيدة في مستقبل حياتك.
- لكنك كذلك يا حبيبتي.
- طالما انا خاضعة لمشيئتك وساكتة على تصرفاتك، اوه، ماذا فعلت بنفسي؟ كان يجب ان استمر في الهروب بعيداً عنك، والا اسمح لك بامتلاكي! اوه، كيف سأتصرف الآن، ماذا سأفعل؟

ثم اجهشت في بكاء عاصف حين ادركت ان خوان لا ينوي دحض اتهاماتها. لقد اخذ هذا الصباح بغيته منها، لكن بالرغم من تعهداته الزوجية ما يزال مصمماً على خداعها. اجابها:

- يمكنك ان تحاولي الوثوق بي.

قال ذلك بصوت بارد جعلها تزيح يديها عن وجهها وتنظر اليه، فبدا لها شاحباً الى حد البياض. قالت بعنف:

- كيف استطيع ذلك وانا لم ار منك الا الخداع؟ ففي لقائنا الأول خدعتني برفضك ذكر اسمك الحقيقي. ثم عرضت ان تساعدني فصدقتك لكن حين قصدتك لتساعدني رفضت ذلك، بل لم تتورع عن سرقة

محفظتي . . .

ـ لم اسرقها بل وجدتها على طاولة الزينة. اما بالنسبة الى باقي الاتهامات فقد حاولت ان اشرح لك دوافعي ومبرراتي، لكن ان كنت عاجزة عن فهمها فيبدو انني اخطأت فهمك بدوري. وبالنسبة الى مونيكا. . .

صمت فجأة ومرر يده في شعره ثم تابع مستديراً الى الحمام:

ـ اوه! ما جدوى التفسير ما دمت مصممة على ان تصدقي ايزابيلا كورتيس، وبالتالي لا يمكنني دحض اتهامك. اعتقدت آملاً ان زواجي منك سيضع حداً للحديث عني وعن مونيكا.

فهتفت تلسعه بلا وعي:

ـ اذن كان بوسع أية فتاة اخرى ان تخدم هدفك هذا!

آلمتها خيبتها العميقة اذ تحققت مما اوحت به ايزابيلا، وجرفتها الكآبة فلم تسمعه يشهق كما لو انه طعن بسكين.

التهبت عيناه كنار وسط وجهه الشاحب وصرخ فيها بصوت اجش:

ـ كم انت مصيبة! لكنني كنت شديد الغباء حين اخترت فتاة باردة الدم على شاكلتك! الآن عرفت لماذا هرب الرجال منك قبل ان التقيك!

صفق باب الحمام خلفه، فاعولت سوريل متعذبة وطرحت نفسها على السرير تنتحب بشدة وتضرب الوسائد بقبضتيها، متمنية لو انها لم توجه اليه مطلق اتهام، ولو انها ما تزال الى جواره وهو يحضنها ويهمس لها بأعذب كلمات الغزل الاسبانية.

لم تدري كم من الوقت بكت، لكنها هدأت شيئاً فشيئاً وبدأت تواجه حقيقة الوضع. لقد تزوجت رجلاً من النوع الذي حاولت دائماً الابتعاد عن طريقه، رجلاً خشناً، صلباً ومغروراً، يجني آلاف الدولارات من تأدية رياضة عنيفة، ويحبه مئات المعجبين الى حد الوله، رجلاً اثار فيها عواطف كانت هاجعة في كيانها، رجلاً اعترف لتوه بأنه ما تزوجها الا ليوقف اشاعة تتناوله وامرأة اخرى! لا يمكنها العيش معه في ظل هذه الحقيقة. لا تطيق الجلوس بلا حراك، منتفخة البطن بطفل منه، وهي تعلم انه يلتقي امرأة اخرى في الخفاء. يجب ان تتركه في اسرع وقت وقبل. . . قبل. . . شهقت سوريل وهي تواجه حقيقة اخرى. . . يجب ان تتركه قبل ان يتعمق حبه في خلاياها الى حد الاستسلام لكل الحقائق الأخرى.

هبطت ببطء من على السرير، وسارت الى طاولة الزينة تلتقط محفظتها الملقاة هناك وتتفحص محتوياتها. لا شيء قد مس فيها، فالمال الذي سحبته من المصرف في ميدلين ما يزال موجوداً.

يجب ان تعود الى مونيكا لتروي لها ما حدث ولترى رد فعلها. الفكرة فرخت على مهل في ذهنها الا انها كبرت بسرعة هائلة جعلتها تبادر الى ارتداء التنورة والبلوزة اللتين لبستهما في اليوم السابق. سوف تغتنم غياب خوان وتتسلل من البيت واهله نيام.

ولما استعدت للرحيل اخرجت مفكرتها من حقيبة يدها ونزعت منها ورقة كتبت عليها رسالة قصيرة لخوان جاء فيها:

ـ لقد تركتك. لا تحاول اللحاق بي. لا استطيع العيش مع شخص خدعني.

وضعتها على الطاولة في مكان المحفظة ثم حملت حقيبة السفر وغادرت الغرفة. لم تلتقي احداً وهي تهبط الدرج. ولما خرجت الى الشارع شعرت بشيء من الاستغراب لكونها استطاعت الافلات بهذه السهولة.

كان الوقت قد شارف الظهر حين وصلت ميدلين ووجدت اخيراً سيارة تاكسي وزودت السائق بعنوان آل اهل. كانت ابنية البلدة تتألق في شمس الربيع الدائم وزهور الاوركيديا تتمازج في جمال قرمزي وزهري نادر على امتداد الشارع. وحين توقف التاكسي قرب مدخل البيت، احست بقشعريرة رهبة تغزو اعصابها، فليس من السهل ان تروي لمونيكا ما حدث وان تحاول الوصول الى الحقيقة. استغربت ان ترى سيارة رامون متوقفة امام المدخل الرئيسي وتساءلت ان كان ما يزال في البيت ولماذا. دفعت اجرة التاكسي وهرولت تصعد الدرج وتدق الجرس. بعد قليل فتحت لورا الباب وليس مانويلا كما توقعت فهتفت:

ـ لورا! لماذا انت في البيت؟

فالقت نفسها عليها وصرخت وهي تقبلها وتحضنها وتضحك:

ـ سوريل! لقد عدت، لقد عدت! اوه، اين كنت؟ الماما كانت تعيسة جداً هذا الصباح لانك لم ترجعي. لقد بكت وبكت واضطررت الى البقاء معها، وفي الأخير استدعيت البابا من المكتب. هيا، ادخلي الى غرفتها، ان البابا موجود معها.

وجدت مونيكا مستلقية على فراشها شاحبة الوجه مغمضة العينين، ورامون يقف عند النافذة ينظر الى الحديقة ويعبث بحبل الستائر. سمع سوريل تدخل الغرفة فاستدار بسرعة وهتف:

- آه، لقد عدت اخيراً!

وهتفت مونيكا:

- سوريل! حمداً لله انك رجعت.

انخرطت فوراً في البكاء ، فألقى عليها رامون نظرة قلقة ثم سأل:

- هل اتى رينالدا معك؟ اذا كان جاء، فاذهبي للاتيان به فوراً الى هنا.

- لكن كيف عرفت اني. . .

توقفت ناظرة الى مونيكا، فمسحت السيدة عينيها بمنديل صغير وقالت:

- لقد اخبرت رامون كل شيء. هل وجدت خوان؟ ماذا قال؟ هل عاد معك؟

- كلا، لقد رفض ان يأتي. قال ان مجيئه لن يجدي نفعاً، وبدلاً من ذلك تزوجني.

فغر كلاهما فمه ذهولاً وقالت مونيكا بلهفة:

- سوريل، عزيزتي، هل انت متأكدة من ذلك؟

وهتف رامون:

- رينالدا يتزوج؟ لا اصدق! لا بد من وجود خدعة ما.

مدت سوريل يدها لتريهما خاتم الزواج وقالت بصوت راجف:

- انا متأكدة من الزواج. لكني اظن انك مصيب يا سنيور في وجود خدعة ما، انما لم اكتشفها الا في ما بعد، وحين اوحت الي ايزابيلا كورتيس بأنه تزوجني بسرعة ليذر الرماد في عينيك. ليوهمك بأن علاقته مع زوجتك قد انتهت.

فصرخت مونيكا قائلة:

- لكن لم تكن هناك اي علاقة بيننا على الاطلاق! افهمتك ذلك يا سوريل، واكرر، لم نكن ابداً، رفيقين. يا الهي! كل الحق على ايزابيلا! لقد حاولت، منذ ترملها، ان تقف بيني وبينك يا رامون، فهي التي عرفتني الى خوان وشجعتني على الذهاب للتزلج. كذلك اقترحت ان ازوره في

مزرعته، وطوال الوقت كانت تنقل اليك تحركاتي وتوهمك بأن العلاقة اعمق واسوأ مما هي بكثير. اوه رامون، يجب ان تصدقني! يجب ان تصدقني!

ران صمت قصير، راح رامون يحدق خلاله الى زوجته المنتحبة ووجهه الكليل بتقلص الألم وحيرة. ثم استدار الى سوريل على مهل وقال لها بهدوء:

- اجلسي، فهذا الموضوع يحتاج الى مناقشة، ويخيل الي اننا جميعاً قد خدعنا بشكل او بآخر.

جلست سوريل وانتظرت فيما عواطفها تتصارع في داخلها. اما رامون فجلس على حافة السرير وخاطب زوجته قائلاً:

- اصغي الي يا مونيكا وحاولي ان تجيبي بهدوء. لقد شرحت لي سبب انجذابك الى رينالدا في اول الأمر، واحسبني اتفهم ذلك بل لا امانع في الاعتراف بان تصرفي قد يكون هو السبب. اما الآن، فهل لك ان تخبريني عما حدث بالضبط حين ذهبت الى مزرعته؟

مسحت زوجته دموعها وتنهدت بارتجاف ثم قالت بجمود:

- لم يكن موجوداً.

- اذن لم تريه؟

هزت رأسها نفياً وتابعت:

- استقبلتني امرأة كانت هناك. امرأة في حوالي الثامنة والعشرين من العمر، جذابة جداً، ترتدي ثياباً مزخرفة وتلبس خواتم ثمينة تساوي آلاف الدولارات.

ادركت سوريل فوراً انها انيز، فسألت مونيكا:

- هل عرفتك بنفسها؟

- كلا، لا اظنها فعلت. لكن. . . لشدة انذهالي من رؤيتها لم يخطر لي ان استوضحها اسمها. لقد تصرفت معي بطريقة هجومية. سألتني من اكون، وعندما اعطيتها اسمي ضحكت وقالت ان خوان حدثها عني وسخر مني امامها.

وهنا عبر صوت مونيكا ووجهها عن الكآبة نفسها التي احستها آنذاك لدى سماعها ان الرجل الذي وقعت في حبه قد اغتابها وهزأ منها امام امرأة اخرى. وتابعت بصوت كسير:

ـ طلبت مني ان اعود الى بيتي الزوجي لانها كانت تعيش في المزرعة ولن يوجد هناك متسع لكلتينا. ادركت في تلك اللحظة انها رفيقة خوان ولا ريب. شعرت بخزي جارف عميق واستدرت اعدو الى سيارتي. . . ضحكتها الشامتة تلك لم تفارقني حتى اللحظة . . . قدت السيارة على غير هدي ولذا حصلت الحادثة. لكنني كمنت عائدة اليك يا رامون، ارجوك ان تصدق ذلك. كنت عائدة اليك انت، لاني ادركت وقتها انك الرجل الوحيد الذي احب.

فضمها رامون الى صدره واخذ يمسد شعرها ويقول:

ـ لا تبكي يا حبيبتي، لقد صدقتك الآن. صدقتك تماماً.

لكنها عادت تقول بذعر كي تقنعه اكثر:

ـ ولم احاول الاتصال ثانية بخوان بواسطة سوريل. لقد كذبت ايزابيلا حين اخبرتك ذلك يوم الأحد. انها تريدك ان تطلقني لتحظى بالزواج منك، وما انفكت تحاول ان تبني ضدي قضية محكمة كي افشل في الدفاع عن نفسي لانها تعلم صعوبة حصولك على الطلاق من دون اثباتات قوية.

شهقت مونيكا باكية واضافت متاوهة:

ـ لكن ربما انت تريدها بدلاً مني. يا الهي! سيكون ذلك عقاباً قاسياً لي، لكوني تجرأت فقط على النظر الى خوان.

ـ كلا، لا اريد ايزابيلا، اريدك انت وما رغبت في امرأة سواك. لكني كنت بدأت اعتقد انك لا تريدينني، فبعد موت الطفل اظهرت لي بعض الانكماش فلم اشأ ان افرض نفسي عليك، ولا سيما ان الطبيب حذرنا من مغبة حمل آخر قد يقضي عليك ايضاً. ادركت الآن خطأي اذ كان يجب ان اصارحك بمشاعري تلك.

ابتسمت له مونيكا وعيناها تتألقان من خلال الدموع المتجمعة فيهما ثم تمسكت بيده وقالت:

ـ اجل، كان يجب ان تصارحني. اريدك ان تفصح لي دائماً عن مشاعرك يا حبيبي.

عبس رامون بقلق، وقال:

ـ لكني ما زلت افكر في قول ايزابيلا ان رينالدا تزوج سوريل ليقنعني بانه ليس على علاقة معك. سوريل، انت صدقت كلامها، اليس كذلك؟

لهذا السبب انت هنا ولست مع زوجك؟

اومأت سوريل كالخرساء، لخشيتها اذا تكلمت، ان تفضح عذاب احاسيسها. وقالت مونيكا بشراسة غريبة عنها:

ـ كم هي منحطة ايزابيلا لتقول ذلك. كم هي فاسدة ومنحطة. لا بد ان حقدها الشديد جعلها توحي بشيء كهذا لعروس سعيدة تزوجت لتوها.

فسأل رامون:

ـ وما سبب حقدها؟

اجابته مونيكا مقطبة:

ـ قد يكون السبب ما قلته لها يوم امس. كانت هنا، تتظاهر كعادتها بالرثاء لوضعي، وفجأة عيل صبري من مداهنتها الزائفة فحاولت ان اكذب عليها بعض الشيء. قلت لها اني تصالحت معك واننا ننتظر عودة سوريل من مزرعة خوان لتنبئنا انه سباقي اليك لينكر قيام اية علاقة بيني وبينه. فوجئت ايزابيلا بكلامي واستأذنت فوراً بالانصراف وهي تتذرع باضطرارها الى السفر بالطائرة الى كويابا كي تزور سلفها وزوجته.

تألق وجه مونيكا وكأنها استشفت تصرف ايزابيلا فجأة، ثم انحنت الى الأمام وهتفت:

ـ فهمت السبب! فهي حين وصلت كويابا وعلمت بزواج خوان، ادركت ان زواجه سيكشف كل الأكاذيب التي حاكتها لك حوله، ولشدة غضبها منه لكونه افسد لها خططها حاولت ان تهدم زواجه قبل ان يبدأ. اوه، سوريل، انت لا تعتقدين فعلاً ان خوان ما تزوجك الا لذلك السبب؟

فتمتمت سوريل:

ـ من الصعب ان اعتقد خلاف ذلك فهو تزوجني بسرعة فائقة.

اعقب ذلك صمت قصير حيث شعرت سوريل ان الزوجين يحدقان اليها، وربما ينتظران ان تضيف شيئاً آخر، الا انها لم تجد ما تقوله.

تنحنح رامون وكأنه يستعد لالقاء خطاب، فتطلعت اليه لتراه يحدق اليها بلهفة ثم بدأ يتكلم ببطء وكأنه يبذل جهداً جباراً ليحط من كرامته وليقول ما يريد قوله:

- سوريل، اظن انني لو لم إفصلك من الخدمة لما كنت وصلت الى هذا الوضع العسير. تقبلي اعتذاري المخلص، وقد كنت ليلتها في اشد حالات الانزعاج. فايزابيلا ما برحت منذ فترة طويلة تحرضني على زوجتي من خلال تلميحات معينة تذكرها عن رينالدا ومونيكا. حاولت جهدي الا اتأثر بكلامها. لكن ما حدث يومي السبت والأحد، رسخا ظنوني بشكل ما، فحرت في امري... اريدك اذا شئت، ان تعودي الينا، وتنهي ما بدأته من عمل، كي تستطيع مونيكا ان تسير ثانية.

فناشدتها مونيكا قائلة:

- ارجوك ان تقبلي.

حدقت سوريل في يديها تفكر... ان عودتها الى هذا البيت كان خياراً اخر لم تأخذه بالاعتبار اثناء رحلتها الجوية الى هنا، لأنه لم يخطر لها وقتها ان مونيكا ورامون سيتصالحان، او ان ايزابيلا كذبت في قولها ان خوان ومونيكا كانا عاشقين وسوف يستمران في هذه العلاقة. اما الآن، فتوصلت بسرعة الى قرار، ورفعت رأسها تقول مبتسمة:

- سأعود لبضعة ايام في اي حال، لكن علي ان اذهب الى المطار لاجلب حقائبي.

ابتسم رامون ونهض واقفاً، ففكرت سوريل في نفسها، هذه اول مرة اراه يبتسم وكم احدث ذلك من تغيير في وجهه الصارم! قال لها:

- اتفقنا. سأذهب واياك بسيارتي لاخرج حقائبك بنفسي.

٧- العذاب كالعسل



كانت أشعة الشمس الصفراء ترقط زرقة حوض السباحة التوركوازية وتتألق بزهو على جوانبه، الوقت عصراً ودفء النهار في عزه، وسوريل مسرورة بالظل الذي تزودها به الشمسية وهي تستلقي على الكرسي الطويل وترشف عصيراً مثلجاً. كانت هي ومونيكا تسترخيان بعد وصلة من التمارين العلاجية في المياه الرائقة والقابلة للعوم. وسألتها مونيكا بصوت متفائل:

- ما رأيك يا سوريل؟ ألم أتحسن كثيراً؟

- بل كثيراً جداً.

لقد استغربت سوريل بالفعل التقدم الحثيث الذي حصلت عليه مونيكا منذ يوم الاربعاء. فموقف المرأة كله تجاه تعلم المشي قد تغيّر وصارت تظهر

لهفة بدل التردد السابق. قالت وهي تتأمل المياه مفكرة:

- أنا واثقة تماماً من أن قلقي الماضي على علاقتي مع رامون كانت تعيقني عن السير. لا بد اني كنت اشعر في اعماقي انه لن يتركني ما دمت مشلولة، ولذا لم أبذل أي مجهود يذكر. هل من الجائز ان يكون هذا التفاعل قد حدث بين أعراضي الجسدية والنفسية؟

- ربما.

أجابتها سوريل وهي تحدق شاردة الى سعف شجيرات متهدلة تشبه السرخس وتشكل سياجاً حول موقع البركة لتحجبها عن البيت وسائر أرجاء الحديقة.

اليوم الجمعة والساعة الثالثة بعد الظهر. لقد مر على رجوعها الى هنا حوالي اثنتين وخمسين ساعة، أي اكثر من يومين! كم زحف الوقت بطيئاً، او ربما بدا لها كذلك لأن اليومين اللذين سبقا عودتها كانا مشحونين بالأحداث المتلاحقة، او ربما لأنها في حالة توقع دائمة، اذ كلما رنّ التلفون تتوقع ان تكون المخابرة من خوان وكلما رنّ جرس الباب تحسب ان خوان قد جاء يسأل عنها. لكن ما الذي سيحدوه الى المجيء؟ لقد طلبت اليه الا يلحق بها، وهو في أي حال، لم يركض أبداً خلف النساء. تنهدت بدون ان تعي. انها تحس ارهاقاً بالغاً من جراء الارق الذي كابدته في الليلتين الماضيتين وحيث عذبها الندم وجعلها تتقلب على فراشها وتتمنى لو انها لم تفه بكل تلك الأشياء التي قالتها لخوان حول علاقته العابرة والبريئة بمونيكا وتتمنى كذلك لو انها وثقت به بدل ان تصدق مزاعم ايزابيلا الحاقدة.

- انت لا تتوقفين عن التفكير في خوان. أليس كذلك؟

فنظرت اليها سوريل متأملة... شعرها الرطب يتجعد حول وجهها المستدير، فمها استعاد رونقه بعد تصالحها مع زوجها وما عاد متهدلاً حزيناً كما في السابق، والخط العميق بين حاجبيها قد إمحى تقريباً. من السهل ان يتصور المرء مدى جاذبيتها عندما كانت في الثامنة عشرة والتقت رامون لأول مرة. تهربت من جواب مباشر وردّت بصوت مرح:

- وما ادراك بأني لم أكن اخطط لبعض التمارين الجديدة والمفيدة لك؟

- وهل تتنهدين وتحدقين في الفضاء لو كنت حقاً تفكرين في تلك التمارين؟ لا أظن ذلك يا عزيزتي.

التوت شفتاها المليئتان بيسمة حزينة واردفت:

- لا تنسي انني انجذبت الى خوان لفترة من الزمن، ولذا استطيع ان اقدّر شعورك الى حد ما.

فتمتمت سوريل بانفعال:

- اني اكرهه في هذه اللحظة.

- اذن هذا دليل على وقوعك في حبه، فهو جرحك في الصميم، ولو لم تكوني عاشقة لما آلمك جرحه لك.

- لكنني بالكاد اعرفه، وما عرفته عنه لا يشجعني كثيراً على حبه. فكيف استطيع ان أغرم برجل التقيته لأول مرة، منذ أقل من اسبوع؟

- لقد تزوجته.

وفجأة اجتاحت ذهنها ذكريات الحب القصير مع خوان فقالت بصوت مرتجف خفيض:

- تزوجته لأنه حشرني في خانة الزواج.

هذه المرة نظرت اليها سوريل بارتياب فتابعت مونيكا على عجل:

- الا يؤكد لك هذا اكثر من اي وقت مضى، ان ايزابيلا كذبت عليك حين اخبرتك انه ما تزوجك الا ليذر رماداً في عيني رامون؟

- ما كان يجب ان أصغي اليها ابداً.

- وانا اخطأت جداً في تسليمها اسراري، لكنها ذات دهاء وتجعلك تشعرين انها تفعل كل ما تفعله من أجلك وحدك، وانها لا تهتم الا لمصالحك، فيما تكون طوال الوقت تسعى لمصالحها الخاصة.

- اعرف ما تقصدين، لكن ذلك لا يبدل حقيقة ان خوان اعترف صبيحة زواجنا بأنه تزوجني عمداً، لكي يضع حداً للاشاعة التي تتناول اسمك واسمه. لقد خدعني وهذا ما يؤلمني.

- احقاً؟ هل انت متاكدة؟ الا تظنين انك انجرحت لأنه لم يخبرك ما وددت سماعه منه في تلك اللحظة؟ سوريل، يمكنني ان أتصور بالضبط ما حدث! لا بد انك سارعت الى اتهامه بصراحتك المتناهية، وواجهته كثور هائج من دون ان تحسبي حساباً لمشاعره الخاصة. انه رجل كسائر الرجال وله كرامته التي يعتز بها. ماذا قال لك؟

- في البداية، طلب الي ان أنسى معرفته بك وقال ان تصرفاته الماضية لا

تعنيني، ثم اتهمني بالغيرة من شيء لم يحدث ولن يحدث شرط ان اخلص له واثق به.

- هذا ما تصورته، لم يخبرك ما أردت سماعه. كيف كان رد فعلك آنذاك؟

- سألته كيف يمكنني ان أثق به وهو ما تصرف معي الا بطرق خداعية، فاستشاط غضباً، واستطيع الآن ادراك السبب، فلقد ثار لانفضاح امره.

فسألتها مونيكا:

- هل أنت متاكدة من هذا السبب؟

- لا يمكن ان يكون هناك اي سبب آخر لأنه اعترف بعد ذلك بانه فكر في الزواج ليوقف الاشاعة.

وهنا تذكرت سوريل العبارة الأخيرة التي قذفها بها، فغمغمت بصوت مرتجف:

- لا أرغب في متابعة هذا الحديث.

- حسناً لا تفعلي . . . ظننت ان الحديث قد يساعدك على بلورة الامور. انما عليك ان تسارعي الى حل المشكلة بطريقة ما، الا تعتقدين ذلك؟

هل تلمح مونيكا الى انها سوف تستغني قريباً عن خدماتها حالما تستطيع المشي؟ ان كان الأمر كذلك، فعليها ان تفكر من الآن في خطوتها التالية. يمكنها ان ترجع الى وطنها او . . . اوه، كيف تتصرف المرأة حين تترك رجلا لم يدم زواجها منه اكثر من اثني عشرة ساعة؟ يمكنها ان تبقى حيث هي، وتأمل ان يأتي ساعياً وراءها. لكن اذا لم يأت افتراضاً، ماذا ستفعل؟ هل تذهب هي اليه وتناشده استرجاعها؟

كانت مونيكا قد أنزلت ظهر مقعدها الطويل واستلقت عليه لتأخذ حمام شمس. رشفت سوريل من شرابها المثلج وحاولت عبثاً ان تتصور نفسها تعود الى خوان لتلتمس صفحه. قالت مونيكا انه رجل موفور الكرامة، لكن هي ايضا لها كرامتها التي لن تسمح لها بالذهاب اليه ذليلة متوسلة. من جهة أخرى، هي لا تعرفه جيداً لتستطيع التكهن بردّ فعله، وتخشى بالتالي ان يرفضها ويزدريها ولاسيما ان السبب الاساسي الذي دفعه الى الزواج منها قد زال الآن تماماً، فهي لا تعتقد ان ايزابيلا ستستمر في نشر الاشاعات حول علاقة حب وهمية بين زوجة رجل اعمال بارز ومصارع

ثيران مشهور.

لو ان خوان يحبها حقيقة لما تأخر لغاية الآن في اللحاق بها. لقد جرى وراءها مرتين من قبل. استفاقت من أفكارها التعيسة على جلبة أصوات، فرفعت رأسها ورأت لورا وغابرييلا في لباسهما المدرسي، مقبلتين لرؤية أمهما. وكالعادة، راحت غابرييلا تثرثر وتظهر عواطفها لأمها بالجلوس على حافة مقعدها واحاطة عنقها بذراعيها. وحالما صمتت غابرييلا لحظة لتلتقط أنفاسها، اغتنمت لورا هذه الفرصة، فقالت بعفوية وهي تسترق النظر الى سوريل:

ـ علمت اليوم من فتاة في المدرسة ان خوان رينالدا قد أصيب عصر الأربعاء في احدى المصارعات في كوبايا. قالت صديقتي ان الخبر نشر امس في الجريدة.

بدت الصدمة على غابرييلا فهتفت بأسى:

ـ اوه! أتظنين اننا ما نزال نحتفظ بجريدة يوم أمس.

فردّت لورا:

ـ لم لا تسألين مانويلا؟

وهنا حثتها امها قائلة:

ـ اجل، اذهبي واسأليها يا غابرييلا، وأحضري الجريدة معك اذا وجدتها. لورا، هل اصيب اصابة بالغة على حد علمك؟

ـ ذكرت صديقتي انه في حالة حرجة، ماذا يعني ذلك؟

لم تسمع سوريل جواب مونيكا اذ كانت تستعين بكل قواها لتخفي شعورها الشديد بالغثيان ولتبقى جالسة في مكانها ريثما ترجع غابرييلا بالجريدة. راحت تقول في نفسها: لا يعقل ان يكون الخبر صحيحاً، فهو أدى مصارعته الأخيرة يوم الثلثاء. لا بد انها غلطة مطبعية. لا بد ان الجريدة اخطأت في الاسم. اوه، ماذا تراني فاعلة اذا توفي؟ ضغطت على فمها بظاهر يدها واستلقت على مقعدها فالتقى بصرها بنظرات مونيكا القلقة. ثم أقبلت غابرييلا تعدو حول الشجيرات، وتصرخ ملوحة بالجريدة:

ـ الخبر هنا! هنا! منشور في الزاوية الرياضية!

فأخذت لورا الجريدة منها وقالت:

ـ دعيني أراه.

لكن مونيكا أمرتها بقولها:

ـ اقرأيه بصوت مرتفع.

قرأته لورا على مهل، فشعرت سوريل ان كل كلمة كانت خنجراً يغمد في قلبها...

ـ الشجاع يصاب في مصارعة مذهلة.

كان هذا العنوان وتلاه نص الخبر...

وبعد ان أصيب خوان رينالدا في بداية المصارعة بقي في الحلبة حتى النهاية مما جعل عشاقه المتحمسين يهبون واقفين ويهتفون له محيين بطولته حين ذبح الثور. ثم خر صريعاً من جراء نزيف حاد فحمل على جناح السرعة الى المستشفى في كوبايا، وحيث أعلن في وقت لاحق انه في حالة حرجة. كان رينالدا قد عاد الى الحلبة قبل يومين فقط وذلك بعد غياب دام عامين تقريباً.

توقفت لورا عن القراءة وقالت:

ـ سائر الموضوع يتكلم عن حاجة المصارعة الى مصارعين في مستواه الفني وحسه الدرامي.

فتمتمت سوريل وهي تقفز من مقعدها:

ـ عن اذنكن.

وضعت يدها على فمها وغادرت المكان وهي تركض حول سياج الشجيرات الى البيت. دخلت غرفتها واستلقت على الفراش... لقد أصيب خوان بسببها... بسبب هروبها الذي آلمه وشتت أفكاره. لكنها لم تكن تدري انه سيصارع ثانية. لماذا لم يخبرها؟ هل كان سيخبرها لو انهما لم يتخاصما؟ تلاطمت الأسئلة في ذهنها ثم قفزت فجأة من السرير وهرعت الى الخزانة لتخرج حقيبة السفر. يجب ان تذهب الى كوبايا لتراه اذ لا جدوى من بقائها هنا ومن تعذيب نفسها بأسئلة عقيمة ستظل بلا أجوبة. الأهم من كل ذلك انه، في حالته الراهنة، يحتاج الى كل الحب الذي تستطيع اغداقه عليه.

لاحظت سوريل ارتجاف يديها وهي تطلب رقم المطار وفكرت في نفسها، لم أعد هكذا منذ التقيت خوان، فلقد استطاع ان يجرحني في عمق

اعماقي، وهيهات ان أعود الى سابق عهدي... علمت ان هناك طائرة ستقلع الى كوبايا في خلال نصف ساعة، فأوصلها بيدرو بالسيارة الى المطار. وعندما غادروا ميدلين كانت الشمس الغاربة تبدو كلهب قرمزي وذهبي، لكن عندما حطت الطائرة في كوبايا صار لون السماء أرجوانياً داكناً، وبدت مدثرة بنجوم ذهبية متوهجة، تلتمع انعكاساتها كمصابيح صينية على صفحة النهر الداكنة.

كان المستشفى قديماً مبنياً على الطراز الاسباني له برج عال على أحد جانبيه، وفي الداخل كان كل شيء هادئاً يوحي بالسكينة وعدم الاستعجال، وبدا مختلفاً تماماً عن المستشفى الذي عملت فيه سوريل في انكلترا. عند مكتب صغير للاستعلامات، اخبرتها ممرضة، ان السنيور رينالدا غادر المستشفى ذلك الصباح. فهتفت سوريل:

ـ لكن... أين ذهب؟

أجابتها الممرضة بنبرة هادئة:

ـ لست أدري. حالته لم تكن جيدة تماماً غير انه اصر على مغادرتنا. هذا كل ما استطيع اعلامك اياه.

ـ شكراً.

ازداد قلقها أكثر من أي وقت مضى وخرجت على مهل لتقف بضع لحظات على رأس الدرج المؤدي الى بوابة المستشفى وهي تتساءل عما يجب ان تفعله. ثم رأت سيارة أجرة تتوقف عند البوابة ويترجل منها ركابها. تحركت على الفور فهبطت الدرج ركضاً وطلبت الى السائق ان يوصلها الى الشارع الذي يقطن فيه دييغو وأوهينيا، وفي خلال عشر دقائق كانت تقف على العتبة تنتظر من يفتح لها الباب الحديدي.

غمرها الارتياح حين فتحته اوهينيا بنفسها، ثم هتفت بحرارة وهي تعانقها وتجذبها الى البهو:

ـ وأخيراً! كم أنا مسرورة لعودتك. كنت أتناول العشاء مع دييغو، تعالي وشاركينا الطعام.

ومشت خلفها وقطعتا البهو الى غرفة طعام انيقة وصغيرة حيث رأت دييغو يجلس الى الطاولة. فسألت بلهفة:

ـ هل خوان هنا؟

اجابتها اوهينيا:

ـ كلا. اعتقد انه ذهب الى المزرعة. دييغو، ألم أقل لك انها ستأتي في أسرع وقت؟

وقف دييغو يحيي سوريل بتهذيب، وأزاحت لها اوهينيا كرسياً وتابعت:

ـ اجلسي يا سوريل وتناولي شيئاً من الطعام.

ومع أن سوريل كانت تفضل متابعة رحلتها الى المزرعة، الا انها امتثلت لطلب اوهينيا. سألتهما:

ـ كيف صحة خوان؟

اجابها دييغو:

ـ انه في حالة جيدة نسبياً. فلحسن الحظ اصيب فقط في ذراعه اليسرى، هل انهيت عملك في ميدلين بصورة مرضية؟

ـ عملي؟

قالت اوهينيا:

ـ اجل، فقبيل ظهر الاربعاء، وحين تأخرت في النزول من غرفتك وبحثت عنك فلم اجدك، سألت خوان عن مكانك، لدى عودته من الحلبة، فأخبرني انك عدت الى ميدلين لتقابلي السنيور والسنيورا اتهل اللذين كنت تعملين عندهما، وهكذا افترضت انك ذهبت لتأتي بحوائجك من بيتهما.

اذن، خوان اخفى عنها الحقيقة، ولم يعترف لعمته بأن زوجته هجرته بعد ان قضت معه ليلة واحدة فقط.

وعادت اوهينيا تسألها بحيرة:

ـ اين حقائبك واغراضك؟ لم ارها معك حين وصلت.

وعت سوريل انها تأخرت عليها بالجواب، فقالت بسرعة وبصوت جامد:

ـ سوف ترسل الي في ما بعد.

ـ حسناً. حسبتك ستعودين مساء الاربعاء او ربما صباح الخميس ولما تأخرت في العودة اردت ان ارسل لك خبراً لاعلمك باصابة خوان، لكنه رفض ذلك رفضاً باتاً وقال انك ستطلعين على الخبر في الوقت المناسب ولا داعي لاقلاق بالك.

ثم رمقتها بنظرة فضولية، واردفت:

- كيف تناهى اليك الخبر؟

اجابتها سوريل بصوت خفيض:

- قرأته في الجريدة عصر هذا اليوم. اوه، ارجوك الا تخفي عني الحقيقة. هل هو فعلاً بخير؟ فقد ورد في الجريدة ان حالته خطرة.

فقال ديغو:

- كان ذلك مجرد مبالغة، فأغلب الظن ان محرر الزاوية الرياضية بالغ في خطورة حالته ليضاعف اهتمام الناس بالخبر، مع ان خوان فقد فعلاً كمية كبيرة من الدم. كان يجب ان يغادر الحلبة فور اصابته لكي يطهر الجرح ويضمد لكن خوان يأبى على نفسه ذلك، اذ اصر على ان يبدو اقوى من جراحه البدنية البسيطة واقوى من الثور الهائج، وهكذا جن الناس اعجاباً ببطولته.

ابتسم ديغو برضى، فكتمت سوريل رغبة ملحة في ان تعطيه رأيها الصريح في كل ما يتعلق بمصارعة الثيران. وهنا قالت اوهينيا بهدوء:

- لكنه اصيب بالاغماء في النهاية، وفي المستشفى اسعفوه بعمليات نقل دم. ومع ذلك، قرر فجأة هذا الصباح انه لا يستطيع البقاء فيه مدة اطول واصر على وجوب عودته الى المزرعة. قال ان جوفيتا ستعتني به اكثر مما ستعتني به الممرضات، واخشى ان كلامه هذا قد جرح مشاعر الممرضات.

همت سوريل بالنهوض من مقعدها وقالت بقلق:

- يجب ان اذهب اليه بسرعة.

فاجابتها اوهينيا بصوت حازم:

- ليس قبل ان تنهي طعامك وتشربي فنجاناً من القهوة الساخنة المنعشة. سوف يوصلك توماس الى المزرعة.

طوال الطريق الى المزرعة اخذت سوريل تتساءل عن السبب الذي حدا خوان الى حجب الحقيقة عن اوهينيا. لماذا ستر فعلتها؟ ولو انه فعل العكس، هل كانت ستلقى الترحيب الحار نفسه الذي لقيته الليلة من ديغو واوهينيا؟ وهل كانا سيلومانها على اصابة خوان في الحلبة؟ لا ريب في ذلك.

وصلا ايبارا ورأت اضواء البيوت تتراقص من خلال النوافذ. في

ساحتها الصغيرة، كان الباص المهترىء اياه متوقفاً امام الفندق الرث، ورأت بعض الأهالي يجلسون على درجات المنازل. ثم اصبحت البلدة خلفهما وراحت انوار السيارة القوية تشق الظلام مجدداً وتضيء الاشجار والاجمات وتتماوج على رؤوس الصخور. كانت السيارة السوداء الفارهة تنطلق بسرعة بالرغم من حالة الطريق السيئة، وخمنت سوريل ان تصل المزرعة في غضون عشر دقائق.

احست ارتجافاً يسري في اعصابها. ماذا ستقول لخوان؟ ماذا يمكنها ان تقول؟ كلمة «آسفة» بدت واهية جداً، وبالكاد تعبر عن شعور الندم الذي يمزق كيانها... في اي حال، هل سيصدقها بعد ان قرأ كلمات الرسالة القاسية التي تركتها له؟ لا تستبعد ان يرفض رؤيتها وقد يطلب الى جوفيتا ان تبعدها عن البيت.

خشخشت الدواليب فوق الحصى المبعثر حين انعطفت السيارة على الدرب الموصل الى البيت واخذت جذوع الاشجار على الجانبين تطير امامها كأشباح باهتة. ثم التمعت الجدران البيضاء المزينة بالمتسلقات في ظلام القنطرة، وهنا خفف توماس سرعة السيارة وعبر المدخل المقنطر الى الفناء المظلل وتوقف عند النافورة.

دقت الباب الأمامي وتأخرت جوفيتا كثيراً في فتحه، وعندما فعلت ذلك اخيراً، لم تفتحه على اتساعه، بل تنحته الى خلف شيئاً فشيئاً، ثم سدت الفرجة الصغيرة بجسمها الضئيل وثوبها البني، اما وجهها الذابل الشبيه بوجه قرد حزين، فبدا كصفحة سوداء تخلف ما كان يجيش فيها من مشاعر او افكار.

قالت سوريل بعصبية:

- مساء الخير يا جوفيتا.

- ومساؤك يا سينيوريتا.

اعترت سوريل دهشة مستاءة حين سمعت المرأة تخاطبها بلقب الفتاة العازبة، وبدا لها ان خوان لم يطلع مربيته العجوز على نبأ زواجه. سألتها:

- هل لي ان ادخل يا جوفيتا؟

فهزت المرأة رأسها قائلة:

- السنيور خوان مريض في السرير ويرفض ان يستقبل اية امرأة. عودي

في يوم آخر يا سنيوريتا.

فبدأت سوريل تحتج بحرارة:

ـ لكني لست مطلق امرأة. . .

الا انها صمتت حين رأت الباب ينغلق قليلاً، فأضافت بسرعة:

ـ يجب ان اراه يا جوفيتا. اسمحي لي بالدخول، ارجوك! لقد قطعت مسافة بعيدة وليست لدي سيارة لترجعني. دعيني ابيت الليل في الغرفة التي نمت فيها سابقاً كي استطيع ان اراه في الصباح. ارجوك يا جوفيتا!

توقفت العجوز عن اغلاق الباب وتضاعفت التغضنات على جبينها الضيق وهي تحاول ان تواجه هذه المشكلة الجديدة، ثم قالت:

ـ اتعلمين انه مصاب بجرح في ذراعه اليسرى؟ هناك قطب عديدة في الجرح وهو يحتاج الى راحة تامة.

اقتربت سوريل قليلاً وقالت وهي تمسك بحافة الباب استعداداً لفتحه:

ـ اجل، علمت ذلك من العمة اوهينيا في كوبايا، وهي ارسلتني الى هنا لمساعدتك على الاعتناء به، هل تذكرين يا جوفيتا كيف تصرف بغرابة حين جرح في المرة السابقة؟ وكيف رغب في عزل نفسه عن سائر الناس؟ انه سيعود الى تلك الحالة ذاتها ان رفضت ان تسمحي لي بمساعدتك. سوف ترين بعينيك كيف سأرعه واجعله سعيداً جداً.

بدا الاضطراب على وجه العجوز لبضع لحظات ثم تنفست سوريل الصعداء حين وسعت فتحة الباب واشارت لها تدعوها الى الدخول. اغلقت الباب وقالت:

ـ لقد سمحت لك بالدخول يا سنيوريتا، لاني اعرف جوهر قلبك، ولاني اعرف ايضاً انه يفكر فيك باستمرار.

فسألتها سوريل مندهشة:

ـ كيف عرفت ذلك؟

اجابتها المرأة الضئيلة:

ـ كان هذا العصر يستريح من عناء الرحلة من كوبايا، وفي اثناء نومه سمعته يكلم نفسه عنك. انت تختلفين كثيراً عن المرأة الأخرى التي جاءت لزيارته ابان مرضه الماضي وحيث احدث مجيئها مشكلات كثيرة.

ـ اية امرأة تقصدين؟

ـ تعالي معي الآن الى الغرفة التي ستنامين فيها وسأروي لك الحكاية على الطريق.

مشت العجوز امامها على الممر وقالت:

ـ كان اسمها تيريزا وقد جاءت من كاليفورنيا. كان السنيور خوان قد تعرف اليها في مطلع شبابه، فمال اليها لفترة ثم انتهت العلاقة تماماً بالنسبة اليه.

توقفت جوفيتا عن الكلام لتفتح الباب وتضيء النور في غرفة النوم الجميلة التي باتت سوريل فيها ليلة الاثنين، ثم اردفت بصوت جاف:

ـ لكن العلاقة لم تنته بالنسبة اليها.

دخلت سوريل الغرفة ووضعت حقيبتها على السجادة الوثيرة، لم تحس هذه المرة بأي انزعاج من جو الغرفة الانثوي المحض بل شعرت بأنها تدخل بيتها.

وسألتها جوفيتا وهي تدور حولها باهتمام:

ـ اترغبين في الاستحمام يا سنيوريتا؟ الماء الساخن سيريحك من عناء السفر.

ـ لكنني اخشى ان يستيقظ السنيور خوان على صوت جريان الماء.

ـ لا اظن ذلك، فقد تناول حبوباً منومة ومسكنة لألم ذراعه وصفها له الطبيب في المستشفى. انه يغط في نوم ثقيل.

ـ اذن، ارحب بحمام ساخن، من فضلك.

ـ حالاً.

ابتسمت جوفيتا ابتسامة حقيقية اذ اسعدها ان تسمح لها الزائرة العزيزة بخدمتها. ثم سألتها وهي تشير الى الحقيبة:

ـ هل جئت بردائك الخاص هذه المرة؟

فاومأت سوريل بالايجاب وما ان استقرت في المغطس الرخامي الأسود واحتوتها الرغوة العاجية الواصلة الى كتفيها حتى استسلمت للأمر الواقع وسمحت لجوفيتا بأن تغسل لها شعرها وتفرك ظهرها بالماء والصابون. ثم تذكرت حديثها السابق الذي انقطع. . . صحيح ان خوان افهمها ان احداث حياته الماضية لا تعنيها بتاتاً لكن الفضول الح عليها لمعرفة المشكلات التي سببتها المرأة، فسألت جوفيتا بقولها:

- كنت تتحدثين عن امرأة تدعى تيريزا. قلت ان السنيور خوان حين قطع علاقته بها انتهى الأمر بالنسبة اليه انما لم ينته بالنسبة اليها. ماذا قصدت بهذا القول؟

اجابتها جوفيتا بطريقتها البسيطة:

- كانت ما تزال تريده، وبما انها فشلت في الحصول عليه، صارت صديقة لأخيه الاصغر. لقد اخبرتك ان له اخاً. اتذكرين ذلك؟

- نعم، اتذكر. ما اسمه؟

- اندريه، آه، كان طفلاً هادئاً كملاك صغير، اشقر الشعر مثل امه ويبتسم دائماً مثلها. كان الابن الأثير لديها وعندما قتلت حزن عليها كثيراً وكان عمره انذاك اربعة عشر عاماً فقط.

- هل اصبح مصارع ثيران في ما بعد؟

- كلا، لم يهتم ابداً بهذه الرياضة. كان لطيفاً وذكياً جداً ولا ينقطع عن مطالعة الكتب. تلقى علومه في جامعة بوغوتا، وطالما قال بانه سوف يصبح كاتباً شهيراً في المستقبل. ثم جاءت تلك المدعوة تيريزا وسيطرت عليه.

اطلقت جوفيتا تنهداً حاراً، وتابعت وهي تسكب الماء على ظهر سوريل لتزيل عنه رغوة الصابون:

- اغرم بها بجنون وجاء بها الى المزرعة لتعيش معنا، وهذا ما كانت تبتغيه هي في الحقيقة، ان تكون قريبة من خوان حين يأتي الى هنا. لم تكن تريد اندريه في الواقع. كانت تستعمله ليس الا. اتفهمين ما اقصد يا سنيوريتا؟

- اظن ذلك. هل اعترض السنيور خوان على اقامتها في المزرعة؟

- كلا. يجب ان تفهمي شيئاً يا سنيوريتا. ان سيدي رجل كريم جداً. له قلب طيب كبير. كان يحب اخته واخاه كثيراً ويسمح لهما بالمجيء والذهاب على هواهما. كان يقول لهما ان البيت يخصهما مثلما يخصه، ويشجعهما على دعوة كل اصدقائهما الى زيارته. وقبل ان تتزوج السنيورا انيز كانت الحفلات تقام هنا باستمرار حيث يرقص الناس ويغنون ويمرحون، وكان خوان يشارك اخته حبها للحفلات والمرح. انهما يشبهان بعضهما بعضاً في نواح كثيرة.

احست سوريل ان جوفيتا بدأت تحيد عن الموضوع الأهم، فسألتها

لتعيدها اليه:

- وهل نجحت خطة تيريزا؟ هل استطاعت ان تؤثر على خوان من خلال اخيه؟

تناولت جوفيتا منشفة حمام من على الرف واجابت وهي تهز كتفيها:

- حاولت ذلك. كانت تقتنص كل الفرص السانحة لتغازله. انه يحب المغازلة ايضاً، لكن حين وجد ان تصرف تيريزا كان يثير اعصاب اندريه، بدأ يتجاهل تصرفاتها، الأمر الذي اغضبها كثيراً.

اقتربت جوفيتا من المغطس واردفت متسائلة:

- هل حدث ولاحظت يا سنيوريتا، ان الناس يقدمون على تصرفات شاذة عندما يثورون غضباً؟

فغمغمت سوريل:

- اجل، لاحظت ذلك. انا نفسي اثور احياناً ثم اندم كثيراً في ما بعد على ما فعلته او قلته في لحظات الغضب. ماذا فعلت تيريزا؟

- اخبرت اندريه انها ما عادت تحبه وانها تفضل خوان عليه. ظلت تهينه وتستفزه حتى صار يغار من خوان الى درجة الجنون، ثم اتهم اخاه بأنه سرق منه تيريزا. في بادىء الأمر سخر خوان من كلامه وحاول افهامه ان تيريزا فتاة فاسدة لا تستأهل حبه. لكن اندريه رفض الاصغاء اليه وتصديق كلامه، بل انه ذهب الى ابعد من ذلك وصفع خوان على وجهه. يجب ان تعرفي شيئاً يا سنيوريتا، هو ان رجال هذا البلد يعتزون جداً بكرامتهم، ولا يتوانون عن العراك من جراء اي شيء يعتبرونه مهيناً لشرفهم.

- سمعت ذلك قبلاً. هل تعارك خوان مع اخيه؟

- نعم، تقاتلا هناك، في الساحة امام البيت. وبما ان خوان كان اقوى من اخيه واكبر حجماً، فقد تغلب عليه بسرعة ثم حمله من على الأرض والقاه في البركة، كي تخف ثورة غضبه، ثم تركه ومضى.

- وبعدئذ، ماذا حصل؟

- السنيور خوان اعاد تريزا بنفسه الى كاليفورنيا وامرها بأن تترك اخاه وشأنه.

- واندريه؟ ماذا فعل؟

- ذهب ايضاً الى كاليفورنيا ولم نسمع عنه شيئاً لوقت طويل. كان خوان

يسافر كثيراً الى بلدان اخرى ليشترك في مصارعات ثيران تقام فيها، وكانت اخته قد تزوجت وسافرت لتعيش في الولايات المتحدة. ثم ذات يوم، وقبل عامين تقريباً، كان السنيور خوان على وشك ان يدخل الحلبة في نهاية المصارعة التي جرت في مانيسالاس، واذا بتلك المرأة تظهر فجأة، لتخبره ان اندريه قد توفي، او بالاحرى، قتل نفسه.

فشهقت سوريل قائلة:

ـ تقصدين انه انتحر؟

ـ اجل، فتلك الفاسدة كانت قد اوصلته الى الادمان وحيث تناول كمية مضاعفة من بعض انواع المخدرات. اصيب السنيور خوان وقتها بصدمة عنيفة ووضع كل اللوم على نفسه لكونه لم يعتن بأخيه كما يجب. ثم دخل الحلبة واصيب بذلك الجرح الخطير.

وهنا اظهرت جوفيتا عواطفها الكامنة بشكل لم تظهره من قبل وهي تتابع متأوهة:

ـ آخ، آخ... كان وقتاً رهيباً ذلك الذي مررنا فيه، وقد جرؤت تلك المرأة على المجيء الى هنا اثناء نقاهة خوان من مرضه. لقد ساعده جداً وجود السنيورا انيز هنا آنذاك اذ انها طردت تيريزا بالنيابة عنه.

انتهت جوفيتا من تجفيفها فلفت سوريل المنشفة حول جسمها على طريقة السارونغ الذي يرتديه اهل الملايو ودخلت غرفة النوم تقول:

ـ اشكرك جوفيتا على اخباري هذه القصة اذ اوضحت لي بعض الأمور التي غمضت علي. والآن، جاء دوري لأقول لك شيئاً. انا لم اعد فتاة عازبة، فقد تم زواجي من السنيور خوان في كوبايا، ليلة الخميس. كان من المفروض ان احضر المصارعة حين جرح، لكني اضطررت الى العودة الى ميدلين ذلك النهار.

حدقت اليها جوفيتا بذهول ثم نظرت الى خاتم الزواج وهمست وعيناها تمتلئان بالدموع:

ـ سنيورا. سنيورا رينالدا. انا سعيدة جداً من اجلكما معاً، انه ليس ابني لكنني احبه وكأنه كذلك. من الآن فصاعداً لن اقلق عليه فانت ستعتنين به جيداً. من فضلك، سنيورا، البسي رداءك كي اجفف شعرك واسرحه.

ارتدت سوريل قميص النوم الذي احضرته معها وفوقه الروب الفضفاض المرافق له. جلست امام المرآة وتذكرت جلستها الأولى مساء الاثنين الماضي. كم يختلف شعورها الحالي عن شعورها آنذاك! الآن لا ترغب بتاتاً في الهروب ولا تريد الا ان تبقى مع خوان وتعيش في كنفه. لكن المشكلة انها غير متأكدة من استمرار رغبته فيها.

واخيراً انتهت جوفيتا من تسريح شعرها ثم تمنت لها نوماً مريحاً وغادرت الغرفة. جلست لفترة تفكر في قصة اندريه وتيريزا، قصة حب وعنف وموت مأساوي، دقت الساعة الاثرية مؤذنة حلول العاشرة ليلاً، تماماً كما حدث في الليلة الأخرى. يجب ان تنام لتعوض عن النوم الذي جافاها في الليلتين الماضيتين ولتنهض في الصباح منتعشة ومستعدة لمواجهة اي عقاب قد ينزله خوان بها.

مشت الى حيث السرير وازاحت غطاءه جانباً، وحين همت بنزع الروب قفزت الى ذهنها فكرة اخرى. ستذهب لتلقي نظرة على خوان ولتطمئن الى راحته... افلم توكل اليها جوفيتا مسؤولية العناية به؟

وفي الحال، عبرت الحمام الموصل بين غرفتيهما، ثم فتحت الباب بهدوء ووقفت على عتبته تنظر حولها. كان المصباح الى جانب السرير مضاء، تقدمت سوريل داخل الغرفة واغلقت الباب بغاية اللطف. وبالرغم من ذلك اصدر طقطقة بسيطة فتجمدت للحظة تراقب خوان الا انه بدا في عالم اخر، فخطت الى الأمام وقدماها الحافيتان تغوصان في ثنايا السجادة القرمزية الوثيرة. توقفت عند السرير ونظرت الى تحت. كان خوان مضطجعاً على بطنه، ووجهه مداراً الى الجهة الاخرى فلم تقدر ان ترى منه الا جانب خده وحنكه البارز واهدابه الكثة التي تظلل عيناً واحدة مطبقة. غطاء السرير كان يدثره حتى خصره فيما بدا صدره عارياً، والقسم الأعلى من ذراعه اليسرى ملفوفاً بضمادات بدت شديدة البياض بالنسبة الى جلده الزيتوني اللون. تراجعت الى خلف، تبحث بعينيها عن كرسي لتحمله الى جانب السرير وقد خطر لها ان تجلس لفترة قربه. وفجأة، سمعته يسأل بصوت خفيض وثقيل كما لو انه استيقظ من النوم لتوه:

ـ اهذه أنت يا جوفيتا؟ الم اطلب اليك الا ترجعي؟

ثم قسا صوته واكتسى بنبرة متسلطة وهو يتابع:

- طالما انك جئت فيمكنك ان تقومي بعمل نافع. افركي ظهري من فضلك، فعضلاته كلها تؤلمني.

لم يكن قد ادار رأسه ولا فتح عينيه. جمدت سوريل في مكانها لا تدري كيف تتصرف. ثم تنبهت فجأة الى انه يطلب شيئاً تستطيع هي ان تؤديه له بطريقة بارعة تعجز عنها جوفيتا لأن التدليك مهنتها. انها تعرف بالضبط موقع الألم في ظهره وتعرف سببه. استيقظت في كيانها روح شيطنة هاجمة جعلتها تبتسم لنفسها. سوف تدلك ظهره وتتركه يحزر هوية المدلك! انحنت عليه ووضعت يديها على الجانبين السفليين لعموده الفقري وبدأت التدليك بضربات قوية عريضة. خيل اليها ان عضلاته تقلصت قليلاً، فتوقعت ان يدير رأسه ويفتح عينيه، لكنه لم يفعل. اطلق تنهداً بطيئاً وركز رأسه على ذراعه في وضع مريح. كانت سوريل تستمتع دائماً بعملها التدليكي وقد توصلت مع الوقت الى تأديته بانعزالية مهنية تامة مما جعل منها مدلكة ناجحة. لكن حين راحت تمسد ظهر خوان بدأت تفقد تلك الانعزالية بالتدريج. فهذا هو الرجل الذي احبت والذي عاهدت نفسها امام الله ان تكون له بالروح والجسم. فشعرت بالحب يسري فيها وتحول ملمس اصابعها الى ضغطات حارة وناعمة كالحرير.

وفجأة سمعته يسألها بالانكليزية، وبصوت شرس اشعرها بامتعاضه:

- كم من الرجال دلكت لهم ظهورهم يا سوريل؟

فتلاحقت انفاسها بفعل التعب والحب معاً وسألته مبهورة:

- كيف عرفت انني انا التي تدلك ظهرك؟

- لأن يدي جوفيتا كمخالب الطير اما يداك فهما. . . لكنك لم تجيبي على سؤالي.

كان عملها في المستشفى البريطاني محصوراً في تدليك النساء فقط، اما المرضى الرجال فكان يوكل امرهم الى مدلكين ذكور. ولذا اجابته وهي تجلس على حافة السرير:

- ولا رجلٍ واحد.

فغمغم قائلاً:

- عظيم. فوالله لو قلت غير هذا لكنت بحثت عن هؤلاء الرجال وقتلتهم واحداً واحداً لانهم نعموا بلمس يديك قبلي!

- هل عليك ان تكون عنيفاً الى هذا الحد، او غيوراً؟

- هكذا اذن! اصبحت الآن عنيفاً وغيوراً اضافة الى كوني عديم المبادىء، مخادعاً، منحط الاخلاق ومنحرفاً، باختصار، من النوع الذي لا يروق لك بتاتاً.

ثم استدار اليها وتابع وهو يساعد نفسه على الجلوس:

- لماذا جئت اذن؟

بدا وجهه شاحباً فوق لحيته النامية حديثاً، وعظمتا خديه بارزتين جداً لكن عينيه كانتا تتألقان بنار باهتة تحت جفنين ثقيلين، وهو يصوب اليها نظرة جارفة. وسألها بسخرية لاذعة:

- هل استدعتك اوهينيا وافهمتك ان واجباتك الزوجية تحتم عليك المجيء الي؟

- كلا، لم تفعل. انا جئت لكي. . .

توقفت وما استطاعت النظر اليه اذ اجتاحتها رغبة في ان تمد اليه ذراعيها وتلصق رأسه بصدرها لتخفف عنه ما يكابد من آلام. لكنها ابتلعت ريقها الجاف وقالت بصوت جامد:

- لماذا لم تخبرني انك كنت تنوي الاشتراك في المصارعة يوم الاربعاء؟

- لانني لم اعرف ذلك حتى صباح ذلك اليوم. فالمصارع المكسيكي لم يحضر بسبب مرض مفاجىء الم به، وهكذا طلب الي دييغو ان انوب عنه. رجعت الى البيت لاخبرك لكني لم اجدك هناك.

رمقها بنظرة مزدرية اشعرتها بخجل كاسح وتابع بجفاف:

- اشكرك على الرسالة. كانت في منتهى الوضوح! لهذا انا مندهش من عودتك. حسبتك قد هجرتني.

ادركت لحظتها ان تلك الرسالة المجرمة هي السبب الحقيقي لاستلقائه هنا شبه مخدر بتأثير الحبوب المسكنة للألم. احست العذاب يمزقها قطعاً فهتفت متأوهة:

- ليتني عرفت! لو اني عرفت انك ستشترك في المصارعة لما ذهبت الى ميدلين. الذنب ذنبي لانك جرحت.

- ذنبك؟ من اين جئت بهذه الفكرة بحق الجحيم؟

- اخبرني دييغو انك يجب ان لا تضطرب بأي شكل قبل دخولك

الحلبة. قال ان هذا ما حدث في مانيسالاس.

- اقال لك ذلك؟

اطلق ضحكة قصيرة متهكمة جعلتها تنظر اليه باستغراب. رأته يستلقي على الوسائد مراقباً اياها بحدة، وتابع يقول:

- وهكذا افترضت ان رسالتك عكرت مزاجي! ها! ها! ان دييغو يعرف كيف يؤلف قصة مقنعة عندما يرغب في ذلك.

عادت ترتجف ألماً من سخريته اللاذعة وسألته:

- ماذا تقصد؟

- طلبت اليه ان يبذل جهده ليقنعك بالبقاء وحضور المصارعة يوم الثلاثاء وهكذا ابتدع تلك القصة ليضرب على وتر ضميرك. انه طبيب نفسي جيد، اليس كذلك؟ فأنت حضرت المصارعة كي لا تحملي ضميرك وزراً وليس لتبعدي عني الاذى.

- لكنك كنت مضطرباً قبل دخولك الحلبة في مانيسالاس. جوفيتا اخبرتني انك اضطربت جداً حين سمعت ان اخاك قد انتحر.

- اقسم بالله انك امضيت وقتاً ممتعاً في التجسس علي من وراء ظهري! والآن جئت راكضة الى فراش مرضي بتأثير ضميرك المعذب. لماذا؟ هل خفت ان اموت قبل ان اغفر لك فعلتك؟ اذن دعيني اريح ضميرك بالنيابة عنك. كان الذنب ذنبي. كنت اعرض بطولتي كالعادة وازود الناس ببعض المشاهد المثيرة لقاء ثمن البطاقات، سواء في مصارعة مانيسالاس او مصارعة كوبايا الأخيرة. لقد اتحت للثيران ان تقترب مني اكثر من اللزوم ولم اقفز من طريقها بالسرعة المطلوبة. في مانيسالاس، كان الثور كبيراً وما يزال يحتفظ بتصميم كبير على القتال، وفي كوبايا كان ثوراً صغير الحجم والسن وربما خجولاً. كانت مجرد مصادفة ان يحدث ذلك في اليوم نفسه الذي قررت ان تهجريني فيه. الحادثة الأولى مجرد صدفة ايضاً.

توقف صوته الهازىء الخفيض ففكرت سوريل في نفسها: «لو انه لسع جلدي بسوط لما استطاع ان يجرح احاسيسي الى هذا الحد...» وتابع يقول:

- ثقي انك لست الملومة. والآن، اخرجي من هنا، وعودي الى انكلترا او ميدلين او الى اي مكان يحلو لك. لا اريدك ان تحومي حولي لمجرد ان

ضميرك يلسعك.

اشاح وجهه عنها كي لا تقدر ان تراه، فقالت:

- لست هنا بدافع من ضميري المعذب. لقد رجعت لاني... اظن انني واقعة في حبك.

فرد بسخرية:

- تظنين انك واقعة في حبي؟ اين الجدوى من ذلك بالنسبة الى رجل حار الدماء مثلي؟

- انا لا اكذب!

- امضي عني. اتركيني وشأني لاستكمل موتي على انفراد.

- كلا! كلا!

تملكها الذعر فلم تدر ماذا تفعل او تقول لتقنعه. وفي غمرة يأسها، ازاحت الغطاء واستلقت الى جواره على السرير. احاطته بذراعها وهمست متوسلة:

- خوان، انت لن تموت، لن ادعك تموت لأني احبك واريدك ان تعيش كي استطيع مشاركتك حياتك. لقد اخبرتني مرة انك تريد هذا، وها انا الآن اطلب الشيء نفسه بعدما اكتشفت انني احبك... احبك، هل تسمعني؟

تفجرت الدموع من عينيها واردفت:

- اواه يا خوان، ماذا افعل لاقنعك؟ اخبرني، ارجوك!

استدار اليها على مهل وقال برقة:

- حاولي عناقي. لا داعي لان تخجلي مني. اريدك يا سوريل، اريدك الآن، بكل جارحة من جوارحي.

- الرغبة تختلف عن الحب.

- في الاسبانية معناهما واحد «تي كييرو» تعني اريدك. «تي كييرو» تعني احبك. «تي كييرو مونتشو» تعني احبك كثيراً. يبدو ان امك لم تعلمك الاسبانية جيداً... انا دائماً احب بهذه اللغة، وما انفكيت اردد على مسمعك منذ عصر الاثنين انني احبك احبك. لكنك لم تفهمي.

وهنا ابتعدت عنه قليلاً لخوفها من ان ينفتح جرح ذراعه اذا ما قام بحركة عنيفة، وقالت:

- جئت غرفتك بقصد الاطمئنان عليك. بوسعي ان انام في الغرفة الاخرى.

ضمها اليه واجاب:

- بل ستبقين هنا. وسوف ننام الليلة معاً وفي كل ليلة اخرى. هذا عقابك على تركك اياي صبيحة يوم زواجنا.

- العقاب العذب. لكني مسرورة الى حد ما لاني تركتك، فلو لم افعل، لما قدرت ربما ان اكتشف حبي لك. هل احببتني فعلاً منذ لقائنا الأول؟

- اجل، لكن في بادىء الأمر احببتك بعيني، اذ وجدت فيك كل ما كنت ابحث عنه من جمال انثوي. اتذكرين كيف استمريت احدق فيك؟

- اجل، اتذكر. وقد حسبت... حسبت...

- حسبتني سيء النية، وانا بدأت وقتها اكتشف بأنك تختلفين عن كل امرأة اخرى عرفتها. فبالرغم من الملك آنذاك وضياعك، اظهرت شجاعة فائقة، فأعجبت بنزعتك الاستقلالية. كنت تكيلين لي الكيل كيلين فشكلت لي تحدياً لم اجده في امرأة غيرك من قبل، وبدأت افكر كم ستكون الحياة مسلية ومفرحة اذا عشت معك لفترة. غير اني فشلت في اختراق ذلك الحاجز الدفاعي الذي شيدته حول نفسك في ذلك الوقت القصير الذي قضيناه معاً. ثم عجزت عن ايجاد طريقة تمكنني من لقائك ثانية، ولذا القيت اليك بذلك الطعم وطلبت اليك ان تقصديني اذا احتجت الى مساعدة.

ضحك برقة وبلهجة منتصرة ثم تابع:

- نجح الطعم اكثر بكثير مما توقعت! جئت الي بنفسك وكانت الخطوة التالية ان اقنعك بالبقاء. وفي خلال ذلك اكتشفت كم انت بريئة وقابلة للعطب، فغمرتني رغبة قوية في ان احميك واحتفظ بك لنفسي. الأمر الذي جعلني ادرك اني اريدك ان تكوني اكثر من حبيبة عابرة الهو بها، اردتك ان تكوني زوجتي، ليس لمجرد ان اقنع رامون انهل بانني لم اهتم قط بزوجته، مع انه خطر لي ان زواجي منك قد يكون طريقة افضل لاقناعه من الطريقة التي اقترحتها انت.

فادركت في تلك اللحظة قصد خوان الحقيقي من قوله السابق انه تزوجها على امل ان تتوقف الاشاعة حول علاقته بمونيكا، واحست بخجل

كبير من نفسها فقالت متلعثمة:

- اوه... انا... لم افهم... قصدك. خوان، كم يؤسفني تصرفي الوضيع ذلك الصباح.

اجابها بصدقه المعهود:

- انه يؤسفني ايضاً. لقد جرحتني في الصميم، وكنت اول امرأة تجرحني بكلامها وبالتالي وجدت نفسي اواجه تجربة جديدة مخيفة جعلتني اعي مدى تورطي العاطفي معك، وهذا الاكتشاف اثار غضبي ودفعني الى اسماعك عبارات مهينة ندمت عليها وما ازال نادماً عليها. لذا لم استغرب هروبك وما اعتقدت انك سترجعين.

- هل كنت ستلحق بي لو لم تصب في الحلبة؟

اجابها مستفزاً:

- ربما نعم، وربما لا.

فردت تتهمه بلطف:

- بدافع الكرامة؟

قال بسخرية:

- نعم، يمكنك ان تضيفي الكرامة الى لائحة الموبقات التي الصقتها بي. لكن اخبريني يا حبيبتي، هل كنت ستدوسين على كرامتك وتعودين الي بعد اصابتي؟

همست وهي تحاول ان تجاريه في صدقه:

- لست ادري. لكنني ارجح ذلك.

- اذن دعينا نقفل هذا الموضوع نهائياً.

ثم ضمها قرب قلبه واردف:

- دعينا الآن نستمتع بوجودنا معاً. دعينا نتبادل الغزل يا جميلتي سوريل.

فقالت تعترض بلهفة:

- لكنك ضعيف من جراء النزيف.

- اتظنين ذلك؟ اذن عليك ان تساعديني في استرداد قوتي.